

# السياسة خذلت السلاح فى حرب أكتوبر

---

حين توقف محمد حسين هيكل عن الكلام شممنا صمت عميق! ..

وكانت نبرات صوته القوي الواضح قد اكتست - فى نهاية الحديث - بشجن خفي حاول جهده أن يتغلب عليه ..

ولأنني لم أكن قد استوعبت تماماً خطورة ما قاله لي وما أطلعني عليه، فقد بدأ صمتي أقرب إلى الذهول، وبرد فعل لم أحسن التحكم فيه، تعلقت عيناى بما كنا نقرأه من حقائق ونصوص، وكأني أنظر إلى الحق الذي هو شديد المرارة!

لعلي لحظتها كنت أخشى أن أعترف بأن ما ورد فى تلك الوثائق هو ما حدث فعلاً .. وما قيل فعلاً!

وإذن، فتلك هي الطريقة التي استثمر بها أنور السادات حرب أكتوبر سياسياً؟! وذلك هو، إذن، ما كان يجري فى دهاليز السياسة، وفي كواليس السياسة حين كان جيل أكتوبر يعتمد بدم الاستشهاد؟!!

إذن، فتلك هي حقيقة ما فعله «صاحب البطولتين»: بطل الحرب، وبطل السلام، تتكشف عن خديعة مرة، ككل حقيقة ينكرها أو يجهلها الناس!

لم تكن هذه أول مرة يتحدث فيها هيكل - أو يكتب عن الإدارة السياسية لحرب أكتوبر فينتقدها، وليس هو الوحيد - على امتداد الأمة وعلى مساحة السنوات التي انقضت - الذي فعل ويفعل ذلك ..

لكنها أول مرة تكتمل فيها القصة فصولاً، فليس هيكل هو الذي يروي ما حدث، أو يحكي ما دار، لكن الذين «يعترفون» به، هم الذين «ارتكبوها» .. وهذا هو الحق شديد المرارة ..

حين بدأنا الحديث لم تكن ثمة مرارة بعد، كنت قد جئت أبحث عن الحق..  
ولم أكن أعلم - بعد - كم هو مر..  
قلت له:

● أظنك قرأت المقال الذي كتبه السيد حافظ إسماعيل مستشار الأمن القومي السابق بعنوان . هل كانت حرب ١٩٧٣ حرباً ملفقة؟ في عدد المصور الأخير (١٣ مايو ١٩٨٣).

■ قال: قرأته

● قلت: إن المقال في تقدير «الأهالي» يحمل دعوة مخلصية لحوار موضوعي هادئ حول الطريقة التي أديرت بها حرب أكتوبر ١٩٧٣ سياسياً. وهو يعترض على المتحمسين لانهكاف الحوار حول هذا الموضوع الهام، ويناشد كل من لديه حقيقة أن يذبحها، وذلك ما فعله في مقاله، الذي أزاح فيه الستار عن وقائع الاتصالات السياسية بينه وبين نظيره الأميركي - آنذاك - هنري كيسنجر على مشارف حرب أكتوبر.. وخلالها، لكنه انتهى إلى رأي مختلف لما انتهت إليه في معظم اجتهاداتك التي نشرت منذ خلافك الشهر مع الرئيس السادات حول تلك النقطة بالذات. ففي رأيه أن الإدارة السياسية لحرب أكتوبر قد تلاءمت معها.. فما هو تعليقك..؟

■ قال محمد حسنين هيكل: إن السيد حافظ إسماعيل طرح في اعتقادي قضية حيوية. وطالب بمناقشة موضوعية وحررة لها. وأنا أوافق على ذلك. بل لعل أكثر الناس حماسه لهذا الموضوع، أرجوك ألا تنسى أن هذه كانت هي النقطة التي

افترت عندها الطرق بين الرئيس السادات وبينى، هكذا خرجت من الأهرام في أول فبراير ١٩٧٤، وحملت معى قضيتى ولم أسكت. ولهذا فإن القضية التى طرحها السيد حافظ إسماعيل، ودعا إلى مناقشة حولها. قضية تعينى مباشرة. فضلاً عن أنها تعنى مصر كلها بالدرجة الأولى، وتعنى الأمة العربية كلها بنفس الدرجة، بل إنها بالنسبة لى كانت صميم عملى ومواقفى كلها فى السنوات العشر الأخيرة.

إننى فى كل ما كتبت من كتب، وبالتحديد فى كتاب «الطريق إلى رمضان» الذى ظهر سنة ١٩٧٥ ثم بعد ذلك فى «خريف الغضب» الذى ظهر هذا الربيع، تعرضت لهذا الموضوع بالاقتراب المباشر مرات، وبالاقتراب غير المباشر مرات أخرى، وألححت أحياناً، وأشرت فى أحيان أخرى، إلى ضرورة التفرقة بين عنصرين فى «حرب أكتوبر»: الأداء العسكرى فى الحرب وقد اعتبرته، واعتبره العالم كله، معجزة بكل المقاييس.. ثم الإدارة السياسية للحرب، وقد كانت لى فيها آراء، أبديتها للرئيس السادات مباشرة، وكانت سبب خلافنا. ثم أبديتها بعد ذلك كتابة أثناء حياته وكان ملخصها ومؤداها كما قلت بالحرف الواحد، والرئيس السادات على قمة سلطته، إن ما حققته السياسة لم يكن على مستوى ما حققه السلاح. ومضيت خطوات أصرح بذلك فقلت: إن السياسة خذلت السلاح ولا أقول خانته.

وفى «خيف الغضب» فإننى تعرضت لهذا الموضوع بتفصيل أكثر، ولم يكن هدفى من ذلك أن أتحدث عن الماضى، ولو أن الماضى حى فى الحاضر والمستقبل.. إن هدفى كان بالدرجة الأولى، أن معرفة حقيقة ما حدث وتقصى خباياه، كفىل بأن يفتح عيوننا على إمكانياتنا الحقيقية، على قدراتنا السياسية والواقعية، لىكن أن الواقع من حولنا له أحكامه، ولكننا ونحن نتأمل أحكام الواقع من حولنا، يجب أن نتعامل معه، لىس بمنطق الاستسلام له كقدر مكتوب، ولكن أيضاً بثقة بالنفس تعرف قدر ذاتها دون أن يدفعها ذلك إلى ضرب رأسها فى الحائط أسى عصبياً على ما فات وذماع، أو مغامرات «دون كيشوتيه» تجرها إلى معارك مع طواحين الهواء..

● ذلك هو ما جعلنا في «الأهالي» نرحب بدعوة السيد حافظ إسماعيل للحوار الهادئ حول الموضوع، لتعلقه بالحاضر والمستقبل وليس بالماضي فقط، ولهذا سعينا كي تشترك في الحوار. . . والآن: ما رأيك فيما أثاره حافظ إسماعيل رداً على الذين قالوا إن حرب أكتوبر، «حرب ملفقة»؟!!

■ قال محمد حسنين هيكل: إنني أتفق معه وبغير تحفظ في أن أي إنسان يقول إن حرب أكتوبر كانت حرباً ملفقة، هو إنسان لا يقدر للكلمة حقها، بل أكثر من ذلك لا يقدر للدماء الزكية حرمتها، ولا لاستشهاد الأبطال جلال الشهادة. . .

لعلي أسمح لنفسي، ولأول مرة، وبدون أي ادعاء، أن أقول إنني منذ فبراير سنة ١٩٧٤، لم أسمح لنفسي أن ألتقي بالعقيد معمر القذافي، ولا أن أضع قدمي في ليبيا، ولا أن أقبل دعوة لزيارتها، ولا أن أتصل بطريق مباشر أو غير مباشر بأحد المسؤولين فيها لنفس هذا السبب.

في بداية الثورة الليبية سنة - ١٩٦٩، كنت متحمساً لها وللقذافي، وفي سنة ١٩٧١، كنت متحمساً للوحدة بين مصر وليبية، وكنت أراها حلاً قابلاً للتحقيق، لصالح الشعبين، ولصالح العمل العربي، ولصالح المعركة، ولم أخف شيئاً من هذا كله، ولكي لا يساء فهم هذه الحماسة، فإنني منذ اللحظة التي تركت فيها الأهرام، وتقطعت علاقاتي بالرئيس أنور السادات، تركت فيها أيضاً صداقتي للثورة الليبية وللقذافي، لأنني وأنا أعرف حساسية العلاقات بين القذافي والسادات، رأيت أن الأفضل والأكرم لي أن أكون بعيداً بعداً كاملاً - لا ظل ولا شبهة فيه - عن العلاقات بين الاثنين.

ثم أضيف إلى ذلك كله سبباً أساسياً، هو أنني سمعت، نقلاً عن العقيد القذافي، ما يمكن أن يفهم منه عدم التقدير على الأقل لحقيقة ما حدث في حرب أكتوبر ١٩٧٣، وبعثت له، أكثر من مرة مع أصدقاء مشتركين، من الفلسطينيين بالذات، أقول له إنه يمثل هذا القول يظلم تضحيات أبطال، ويظلم جهد أمة بأسرها، ويخلط بين خلافه مع حاكم مصري وبين جهود وتضحيات الشعب المصري. . .

وحين سألتني بعضهم : ولماذا لا تذهب إليه وتناقشه بنفسك ، كان ردي : أنني أعيش في مصر ولن أتركها ، وأعيش في ظل قوانينها ، ولن أقبل غيرها بما فيها قانون العيب ، ولن أرتضي إلا حماية الشعب المصري وحده ، ولهذا فإنني لا أذهب ، ولا أناقش ، وجلي الكل أن يراجعوا أنفسهم بأنفسهم لأن القضية أخطر من الأهواء والخصومات واختلاف الطبائع والأمزجة .

● أنت تتفق مع السيد حافظ إسماعيل في رفضه القاطع للقول بأن حرب أكتوبر، حرب ملفقة؟

■ اتفق معه على طول الخط ، وإلى آخر المدى ، وأي قائل لهذا ، أو مثله ، أو بما هو قريب منه يستحق من هذه الأمة كلها ، وليس مصر وحدها ، أن تدير له ظهرها ، وأن تسقطه من أي حساب . . لكن ذلك لا يمنع شعوب الأمة العربية ، والشعب المصري أولها ، من المناقشة والحوار الحر والموضوعي ، حول ما كان وما جرى ، على أن تظل عيونها على المستقبل ولا تحبس نفسها في الماضي ، سواء بنزعات الانتقام أو بتسوية حسابات شخصية ، أو بالمناقشة سفسطة وتعاجباً وخيلاء . .

● هل تتفق معه أيضاً في تقييمه للإنجاز العسكري لحرب أكتوبر؟

■ قال محمد حسنين هيكل : . . لقد كانت حرب أكتوبر علي مستويين : «مستوى الأداء العسكري في الحرب» و«مستوى الإدارة السياسية للحرب» ، وقد كان مستوى الأداء العسكري مفاجأة لكل العالم ، ولست أنا القائل بذلك ، وإنما هناك واقع ما جرى في ميدان القتال ، ابتداء من افتتاحية العبور العظيمة ، وحتى معارك الجيش الثالث المستبلة ، في وقت ظن فيه الإسرائيليون أنهم أحكموا من حول هذا الجيش حلقات الحصار ، يكفني أن يقرأ أحد مذكرات القادة الإسرائيليين من جولدا مائير إلى ديان ومذكرات الساسة الأميركيين الذين ساندوا إسرائيل ، وأهم هذه المذكرات في رأبي هي «مذكرات كيسينجر» ، والجزء الثاني منها بالذات ، الذي صدر بعنوان «سنوات القلاقل» .

● وإذن فإن الخلاف بين ما ذهب إليه حافظ إسماعيل في مقاله، «وبهتك» أصبح محصوراً فقط في تقييم مستوى الإدارة السياسية لحرب أكتوبر؟

■ تلك قضية أخرى غير قضية مستوى الإنجاز العسكري، وفيها، فإنني أعترف باختلافي أساساً - وبطريقة قاطعة - مع ما قاله السيد حافظ إسماعيل. وأعترف لك، أنني دهشت من عبارتين قالهما السيد حافظ إسماعيل في الصفحة التاسعة من عدد «المصور» الأخير، وفي العمود الثالث على وجه التحديد:

العبارة الأولى يقول فيها حافظ إسماعيل بالحرف الواحد، ما يلي:

«وبالرغم من الإنجاز العسكري المصري المحقق، فلم يكن الدكتور كيسينجر حتى ١٠ أكتوبر على استعداد لمناقشة رسالتي له . التي تضمنت خمس نقاط في إطار مقترحاتنا لتحقيق السلام .. أهمها :

- وقف إطلاق النار وانسحاب إسرائيل إلى خطوط ما قبل ٥ يونيو خلال فترة محددة تحت إشراف الأمم المتحدة.
- حرية الملاحة في مضائق تيران.
- إنهاء حالة الحرب مع إتمام الانسحاب الإسرائيلي.
- حق تقرير المصير لسكان قطاع غزة ..
- عقد مؤتمر سلام تحت إشراف الأمم المتحدة.

والفقرة الثانية نجيء بعدها بعدة سطور، وفيها يقول السيد حافظ إسماعيل «وابتداء من ١٥ أكتوبر - ومع عدم نجاح «معركة تطوير الهجوم» وبداية الهجوم الإسرائيلي المضاد على الجبهة المصرية، والذي انتهى بعبور القوات الإسرائيلية لقناة السويس - توقفت المناقشة حول تسوية سياسية، واقتصرت الجهود على تحقيق وقف لإطلاق النار على الخطوط التي بلغتها القوات المصرية والإسرائيلية».

## ● ما الذي «أدهشك» تحديداً في هاتين العبارتين!؟

■ قال محمد حسنين هيكل: ما هو مؤدى هاتين العبارتين . معناهما ببساطة سواء كان هذا ما قصده السيد حافظ إسماعيل أو لم يقصده، أن فشل معركة «تطوير الهجوم» يوم ١٤ أكتوبر، كان هو السبب الرئيسي الذي غير أهداف المعركة . بدأت المعركة بطلب تسوية سلمية شاملة، ثم انتهت إلى مجرد طلب بوقف إطلاق النار، ويؤسفني أن أقول، ومع كل احترامي وتقديري، إن ذلك ظلم بين للسلام وللرجال وللدماء .

وفضلاً عن ذلك فإن قبول ما قاله السيد حافظ إسماعيل يطرح تساؤلاً خطيراً لا بد له أن يجيب عليه: إذا كانت النتيجة التي توقفت عندها المعارك في ٢٢ أكتوبر كانت قصارى ما يمكن تحقيقه في ميدان القتال، فهل لي أن أسأله محدداً:

- وأنت مستشار الأمن القومي لرئيس الجمهورية، هل نصحتة أو وافقت على مخاطر قتال ليست له من نتيجة إلا طلب وقف إطلاق النار!؟  
قلت للأستاذ هيكل:

## ● هل لديك معلومات تفيد أنه لم يفعل!؟

قال بابتسامة:

■ أنا أوجه إليه السؤال عن طريقك، فلا تعيده إلي، ومع ذلك فأنا أمام رجل أقدره وأحترم تاريخه، وأظنه يعلم أنه كان لي دور في ترشيحه مستشاراً للأمن القومي للرئيس السادات، وكنت قد لاحظت أن السيد أشرف مروان، الذي كان يدير مكتب السادات، قد أصبح مشغولاً بالهيئة العربية للتصنيع ولذلك اقترحت عليه أن يستعين بحافظ إسماعيل، فهو صاحب تاريخ وخبرة.

كرئيس سابق لهيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية، ورئيس سابق للمخابرات، وسفير سابق، وقد قبل السادات ترشيحي، لكنني لا أدري مدى علم السيد حافظ إسماعيل بكثير مما كان يجري، وأذكر أنه عندما قرر السادات أن يقبل

وقف إطلاق النار، اعترض حافظ إسماعيل، لكن الرئيس كان ثائراً بدرجة جعلته يرفض الاعتراض بعصبية .

● حسناً . . نعود إلى الفقرتين اللتين أثارنا انتباهك . . لماذا ترى أنهما يظلمان الرجال والسلاح ظلماً بيناً؟!

■ بهدوء قال محمد حسنين هيكل: لكي تستبين الحقيقة، فوق اجتهادات الرأي، والاستنتاجات، فلا بد أن نعيد بناء الوقائع، لأنني أخشى أن ما رواه السيد حافظ إسماعيل لم يكن كاملاً، إن السيد حافظ إسماعيل تحدث عن رسالته إلى كيسنجر، أولئك صرحاء عن رسالة من الرئيس السادات إلى كيسنجر، عن طريق خط الاتصال السري الذي اتفق هو حافظ إسماعيل مع كيسنجر على إقامته أثناء زيارته لواشنطن في مطلع العام ١٩٧٣، ومحادثاته في ذلك الوقت مع كيسنجر، وهي زيارة ومحادثات يمكن أن يقال فيها الكثير، وإن لم يكن هذا وقته الآن، لكن السيد حافظ إسماعيل أورد فقرة من الرسالة، وليس الرسالة كلها، فقد أورد منها، ما رآه من وجهة نظره مهماً، ولكن الملفت للنظر، أن كيسنجر في مذكراته أورد من هذه الرسالة ذاتها، فقرة أخرى، لم يشر إليها حافظ إسماعيل، وكانت هي الفقرة «المفتاح» في الرسالة كلها، بل لعلني أقول إنها كانت «الفقرة الكارثة» في الإدارة السياسية للحرب .

● من هو أولاً المسؤول عن محتوى الرسالة؟ . . وهل كانت موجهة لكيسنجر أم لطرف آخر؟!

■ أعتقد أن حافظ إسماعيل يحمل نفسه أكثر مما يطيق، حين يقول إنه هو الذي أرسلها لكيسنجر، والأرجح أنها أمليت عليه، وهي في الحقيقة، رسالة من السادات إلى كيسنجر، وإذا كان بيننا من يتصور أن تذهب من مصر إلى يد كيسنجر في واشنطن ثم لا يعرف بها الإسرائيليون فهو واهم!



● ماذا قال أنور السادات للإسرائيليين في هذه الفقرة الكارثة التي لم يوردها حافظ إسماعيل في مقاله؟

■ - قال لهم - وأنا أقرأ لك هذا من مذكرات كيسنجر (ص ٤٨٢ من الجزء الثاني) - بالحرف الواحد:

وإننا - أي مصر - لا نعتزم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة.  
سكت هيكل لحظة قبل أن يضيف:

في كل رسالة سياسية أو حتى غير سياسية، هناك عناصر متعددة، هناك العبارات الإنشائية والأمانى والمبادئ العامة، التي يعبر بها طرف عما يريد، وهو حر يقول ما يشاء، ثم عبارات أخرى تسمى العبارات «العملية» أو «الإجرائية»، التي تتضمن فعلاً أو ارتباطاً أو تعهداً أو التزاماً أو قيداً تقبله أو تتعهد به، وهي الفقرات التي يرسم بها أحد الطرفين خط سلوكه العملي والفعلي ويقطع على نفسه تعهدات يلتزم ويتقيد بها، والفقرة التي حرص كيسنجر على ذكرها، على الفقرة «العملية» في هذه الرسالة، في حين اقتطف حافظ إسماعيل في مقاله منها أجزاء أخرى، ليدلل بها على ما انتهى إليه، من أن الفشل في تطوير الهجوم والهجوم الإسرائيلي المضاد (الثغرة)، هو السبب في تقلص الأهداف السياسية لحرب أكتوبر من التوصل إلى تسوية سلمية شاملة إلى مجرد البحث عن وسيلة لوقف إطلاق النار، ولكن يكون الحوار موضوعياً، فهذا هو النص الكامل للرسالة، تعال نقرأها معاً، قبل أن أهلق أو تعلق عليها..

قال محمد حسنين هيكل ذلك. وهو يتناول من ملف أمامه - صورة من الرسالة.. سألته:

● هل أستطيع أن أسألك من أين حصلت على هذه الرسالة؟

■ أشك كثيراً أن هذه الرسالة، وغيرها من الرسائل، موجودة في الملفات الرسمية للحكومة المصرية، فالذي أحلمه أن الرئيس السادات، بعد مظاهرات الطعام التي جرت في ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧، أحس بأن الشعب تنكر لما كان يعتبره فضلاً منه

عليه، وبدأ يختط طريقاً آخر، وهكذا بدأت مراسم «حرق الأوراق»، فقام بحرق كثير من الوثائق الرسمية، التي كان حريصاً على ألا تقع في يد «ناكري فضله»، وهكذا أحرقت في الغالب تلك الرسالة وغيرها، وفي الحقيقة فأنا حين أضع نفسي في مكان الرئيس حسني مبارك أشعر بتعاطف شديد معه، لأن جزءاً كبيراً من الحقيقة قد «أحرق»..!

وقد حصلت عليها بفضل قانون حرية المعلومات الأميركي، وهو قانون يبيح لكل باحث، لأغراض البحث العلمي، أن يحصل على نص أي وثيقة من ملفات الجهات المعنية بواشنطن، متى كانت لا تتعلق بوقائع حالية أو مستقبلية تؤثر على الأمن القومي الأميركي، وقد اضطرت للجوء إلى صحفي أميركي صديق ورجوته أن يستعمل الحق الذي يكفله له القانون، للحصول على الرسالة بعد أن أذيعت أجزاء منها فعلاً وبهذا حصلت عليها، وكانت قد سلمت إلى «يوجين ترون» ممثل وكالة المخابرات المركزية الأميركية في شعبة رعاية المصالح الأميركية بالسفارة الإسبانية التي كانت ترعى مصالح أميركا في مصر آنذاك..

### ● .. والآن ما هو النص الكامل لرسالة ١٩؟

تناول محمد حسنين هيكل نص الرسالة من أمامه، قال:

■ هذا هو نصها الحرفي:

«عزيزي الدكتور هنري كيسنجر

(أ) لقد أبلغنا الدكتور الزيات وزير الخارجية المصرية آنذاك، وكان وقتها في واشنطن وقابل كيسنجر قبل المعارك وفور نشوب (المعارك) بما تم بينكما من محادثات ومناقشات خلال الأيام القليلة الماضية.

(ب) ووفقاً لروح الصراحة التي كانت تسود اجتماعاتنا (حافظ هنا يشير إلى لقاءاته السابقة بكيسنجر) فإنني أود أن أبدي ملاحظات قلائل بصدد النقاط التي أثيرت خلال مباحثاتكم (أي مباحثات كيسنجر مع الزيات):

١ - إن الاشتباكات التي تحدث حالياً في المنطقة لا يصح أن تثير أي دهشة لدى جميع أولئك الذين تتبعوا الاستفزازات الإسرائيلية المستمرة، ليس على

الخطوط السورية أو اللبنانية فحسب، بل أيضاً على الجبهة المصرية، وكثيراً ما لفتنا النظر إلى مثل هذه الاستفزازات التي لم تتوقف قط رغم الإدانة الدولية.

٢ - وعلى ذلك فقد كان على مصر أن تتخذ قراراً بمواجهة أي استفزازات إسرائيلية جديدة بالحزم، وبالتالي أن تتخذ الاحتياطات الضرورية، لكي تواجه أي تصرف إسرائيلي من قبيل ذلك الذي جرى فوق سوريا يوم ١٣ سبتمبر ١٩٧٣.

٣ - المصادمات التي حدثت على جبهة القتال كنتيجة للاستفزازات الإسرائيلية كان المقصود منها من جانبنا أن نظهر لإسرائيل أنه لم يكن يساورنا الخوف، أو أنه لا حول لنا ولا قوة (لاحظ أن هذه عبارات أنور السادات التي كان يكرر أن الحرب نشبت لكي لا يتصور الإسرائيليون أننا جثة هامدة) وأنا نرفض الاستسلام لشروط تخطيط عدواني يهدف إلى احتجاز أرضنا كرهينة للمساومة.

٤ - ونتيجة للاشتباكات، كان موقفاً جديداً قد نشأ في المنطقة، ولقد كان طبيعياً توقع تطورات جديدة في خلال الأيام القلائل القادمة، فإننا نود توضيح إطار موقفنا.

٥ - إن هدفنا الأساسي لا يزال - كما كان دائماً - تحقيق السلام في الشرق الأوسط وليس تحقيق تسويات جزئية.

٦ - إننا لا نعترم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة؟

(ج) وإذا أحسب أنكم تلقيتم من مستر روكفلر رد رئيسنا على رسالتكم (هذه إشارة إلى اجتماع تم بين السادات وروكفلر أنا أظن أن حافظ إسماعيل لم يعلم عنه شيئاً، وهذا يؤكد أن الرسالة أمليت على حافظ إسماعيل وتضمنت بعض ما لم يكن السادات قد أحاطه به) ذلك الرد الذي أعيد فيه تأكيد موقفنا، كما توضح منذ أول اتصال بيننا، أرجو أن تسمحوا لي أن أوضحه بجلاء مرة أخرى.

١ - على إسرائيل أن تنسحب من جميع الأراضي المحتلة.

٢ - وعندئذ سنكون على استعداد للمساهمة في مؤتمر سلام بالأمم المتحدة، على أي شكل مقبول، سواء كان ذلك تحت إشراف السكرتير العام، أو ممثلي الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن أو أي هيئة أخرى ممثلة.

٣ - إننا نوافق على حرية الملاحة في مضائق تيران ونقبل كضمان تواجداً دولياً لفترة محدودة.

(د) وإني لاستشعر الثقة من أنكم سوف تقدرون أن هذه العودة لشرح موقفنا مبعثها رغبة حقيقية مخلصمة في تحقيق السلام، وليست منبعثة عن استعداد لبدء سلسلة من التنازلات والحق أننا نذكر أن المستر روجرز قد أضر بفرض السلام حين أخطأ تفسير مبادرتنا للسلام في فبراير ١٩٧١، بطريقة انحرفت بتلك المبادرات عن طريققتها وهدفها الحقيقي.

وتفضلوا بقبول أطيب تحياتي.

«حافظ إسماعيل»

ناولني محمد حسنين هيكل الرسالة، وبعد أن قرأتها، قال:

■ إذا بدأنا تحليل مضمون هذه الرسالة، فسوف نلاحظ أن الجزء الأول كما ترى هو سرد لمواقف قديمة، ثم تعبير عن أماني وتصورات الحل، ولكن الفقرة الوحيدة «العملية» فيها، لأنها تتضمن في ذاتها، قوة فعل، ولأنها كانت بمثابة تعهد أعطي من طرف واحد، هي الفقرة ٦ من البند ب، وهي الفقرة التي تقول «إننا لا نعتزم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة».

● هناك نقطة مهمة هنا يا أستاذ هيكل: ما هو تاريخ هذه الرسالة؟

■ هذه الرسالة سلمت قبل ظهر يوم الأحد ٧ أكتوبر ١٩٧٣ أي أنه بعد مرور أقل من عشرين ساعة على بدء حرب أكتوبر، كان السادات يرسل للإسرائيليين، عبر الأميركيين ليقول لهم إنه لا يعتزم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة (!!) لحظتها كانت القوات المصرية قد عبرت قناة السويس بخمس فرق وكان العالم كله مذهولاً بما حدث، وفي ذلك الوقت كانت الدبابات السورية تتقدم في اتجاه الجليل، ولم تكن إسرائيل قد نجحت بعد في صد الهجوم السوري. إن القيادة الإسرائيلية الجنوبية، التي كانت مكلفة بصد أي هجوم تقوم به مصر، كانت في حالة صدمة رهيبة ساعتها، وذلك ما اعترف به قائدها الجنرال «جونين» أمام

لجنة أبحاث الإسرائلية . وكان من التعبيرات المدهشة التي قالها الجنرال «جونين» أمام اللجنة : إن المصريين ضبطونا ونحن في الحمام وبنظوناتنا مدلاة . وبعد ساعات من هذا الوقت الذي استلم فيه كيسنجر رسالة من السادات يقول له فيها إن مصر لن تعمق مدى الاشتباكات أو توسع مدى المواجهة ، كان الجنرال ديان - وزير الدفاع - كما يقول كيسنجر ذاته في مذكراته - قد ذهب إلى مجلس الوزراء الإسرائيلي ، ليقول أن الوضع على الجبهة المصرية سيء للغاية ، ويوصي بإصدار قرار بالانسحاب الإسرائيلي الشامل من كل سيناء !

إن من القواعد المعروفة في علوم الاستراتيجية ، أن أي عدو يهمة أن يعرف عن الطرف الذي يواجهه في الحرب أربعة أشياء أساسية : موعد الهجوم (وفي هذا الصدد حققت القوات المسلحة المصرية مفاجأة على المستوى الاستراتيجي والتكتيكي) ثم حجم القوات (وكان أمام الاسرائيليين يومها خمس فرق انتقلت بمعجزة من الضفة القنال الغربية إلى الضفة الأخرى بسلاحها ودباباتها ومدفعتها) ويبقى بعد ذلك عنصران مهمان جداً من عناصر المعركة ، يجمع عليها كل أساتذة علوم الحرب في العالم من «كلاوزفيتز» إلى «ليدل هارت» هما : نوايا العدو . وأهداف الهجوم ، وكيف تجيء أنت وفي الساعات الأولى من الهجوم ، وتبرع من تلقاء نفسك وتقله له : أنا لن أتقدم بعد هذا . . كأنك بكل بساطة تقول له أهدافك ، وتبلغه بنواياك . . إذن فقد أعطيت للعدو كل ما كان يلزمه ، بل وافسدت المفاجأة التي حققتها ، وهذا لا يخالف منطق الإدارة السليمة للحرب أو مبادئ السياسة فقط ، بل ويتناقض مع المعلومات الأولية المكتوبة في كتب التدريس العادية في أي كلية لأركان الحرب .

● من الناحية العملية المحضة . . كيف استفاد الامريكيون والاسرائيليون بالتالي من ابلاتهم بهذه «الفقرة الكارثة» في ٧ اكتوبر ١٩٧٣ ؟

قال محمد حسنين هيكل :

■ لقد اعتبر كيسنجر كما قال في مذكراته ، أن الجديد في تلك الرسالة هو تلك الفقرة المشثومة . . فماذا رتب عليها؟ لقد وضع كل خطته لمواجهة انتصار اكتوبر ،

بعد أن عرف نوايا السادات وأهدافه، وفي مذكرات كيسنجر «الجزء الثاني ص ٤٨٢ - ٥٥٠) عرض واسع، وطبقاً لما قاله (ص ٤٨٣) فإنه دعا لجنة الأمن القومي الأمريكي لاجتماع عاجل، عقد في اليوم نفسه، وبعد ساعات من تلقيه الرسالة، ويورد كيسنجر في مذكراته من محضر لجنة الأمن القومي، حواراً دار فيه ما يأتي بالنص:

كيسنجر (موجهاً الحديث لأعضاء اللجنة): كيف تستطيعون تفسير موقف العرب الآن، كيف تفسرون زهوهم الظاهر؟ ولماذا لا يسارعون بطلب وقف إطلاق النار (لأن كيسنجر كان يتصور أن الجيش المصري سيضرب أثناء العبور، طبقاً للمعلومات التي كانت لدى المخابرات الأمريكية آنذاك)؟  
شلزنجر (وزير الدفاع) أخذتهم عواطفهم.

كولبي (مدير المخابرات): ان السوريين يتصورون أنهم يؤدون أداءً حسناً وهم لا ينظرون إلى المدى البعيد. قد تكون عملية مصر هي عبور القناة.. فقط (من الواضح أن كولبي كان يعلم فحوى الرسالة).

كيسنجر: ولكن لماذا لا يحاولون تدعيم مكاسبهم.. إن كل سفير أجنبي رأى السادات اليوم قيل له إن مصر لا تريد إطلاق النار قبل أن تصل إلى الحدود الإسرائيلية.

شلزنجر: هل تتصور أنت أن هذا الكلام منطقي؟ هل تتصورون أنهم لا يملكون هذا المنطق الطبيعي للأمر؟

راش (مساعد وزير خارجية كيسنجر): إنه من الصعب عليّ أن أتصور أن السادات سيكتفي الآن بعبور قناة السويس ثم يقف هناك.

كيسنجر: إن رأيي أنه سوف يبقى هناك، إنني أعرف أنه لن يتقدم أكثر من ذلك

ثم بدأ كيسنجر يطرح خطته فيقول إن هدف أمريكا الأول، هو كسب الوقت حتى نعطي لإسرائيل الفرصة لتغيير الوضع العسكري الذي فوجئت به، وفوجيء به العالم، ثم ان تعطي إسرائيل الفرصة لكل الوسائل لكي تركز على جبهة عربية

واحدة، ثم العمل على ابعاد السوفييت عن المعركة، وكذلك ابعاد السعودية والأردن عن التدخل فيها. ثم يتخذ قرار بارسال أسلحة لاسرائيل، وقد حدث هذا قبل الجسر الجوي الذي حمل الاسلحة إليها بعد ذلك، ويتم تحميل سبع طائرات اسرائيلية بالاسلحة، ويستدعي السفير الاسرائيلي ثم يطلعه على مداولات مجلس الأمن القومي، ثم يلومه على الخيبة الاسرائيلية، ثم يسأله متى يكونون مستعدين لاعادة موازين المعركة ثم يكتشف أن السفير الاسرائيلي ليست لديه معلومات كافية، ثم يتصل باسرائيل بكل الوسائل، ثم إذا به يذهل لأن اسرائيل فوجئت بأكثر مما كان يتصور، ويذهل أكثر حين يعلم بحجم الخسائر الاسرائيلية ويقرر الا يفشي حجم هذه الخسائر الاسرائيلية حتى لأركان البيت الأبيض ووزارة الدفاع، لكي لا تتأثر المعنوياتهم.

● كيف استند كيسنجر إلى هذه الرسالة، ليخطط لكسب الوقت، حتى يمكن اسرائيل من مواجهة مصر.

قال محمد حسنين هيكل:

● كان هدف كيسنجر كما اعترف في مذكراته، هو كسب الوقت ليتمكن الاسرائيليين من هدفهم، بعد أن تأكد أن مصر لن تطور الهجوم أو تعمق الاشتباكات، وهكذا قرر أن يشاغل المصريين، وأن يثير شهيتهم ليليههم عما كان يدبره ليست تلك هي أوصافي وإنما هي الفاظه بالحرف الواحد فيقول (في ص ٤٨٧ و ٤٨٨ من مذكراته): بالنص «أردت أن أستشير شهية المصريين وأن أسيل لعبهم في امكانية حدوث انسحاب اسرائيلي دون أن ألزم نفسي بقبول أي شيء من طلباتهم» فإذا هو يبعث لحافظ اسماعيل برسالة، أورد جزءاً منها في مذكراته. وهي رسالة تدعو أيضاً للعجب، وهي رسالة أرسلت في ٨ أكتوبر ١٩٧٣ وهذا هو نصها الكامل:

عزيزي السيد اسماعيل

اني شاكر جداً لكونكم، وفي وسط مشغوليتاكم الكبيرة الراهنة - تجتزون وقتاً لكي تتشاطروا معي تفكيركم فيما يتعلق بالتطورات في الشرق الأوسط، وانه حتى فيما قبل نشوب العمليات الحربية الحالية. قد سبق لي أن أخطرت وزير الخارجية

الزيات بأنني على استعداد لأن استطلع بصفة جدية ومكثفة وبصفة خاصة مصر، ما قد تكون الولايات المتحدة قادرة على القيام به، لمساعدة الأطراف على تحقيق سلام في الشرق الأوسط، ولا يزال هذا العرض قائماً. ومن الظاهر أن مجهوداً كهذا يمكن أن يصيب النجاح على أكمل وجه في أهدأ جو ممكن، ولهذا السبب فإن الولايات المتحدة حاولت الوصول إلى وقف للقتال، دون أن تتخذ في الوقت نفسه موقفاً يحتمل أن يؤدي إلى مواجهة مع الجانب المصري، وفيما يتعلق بالنقاط المدرجة ففي مذكرتكم المؤرخة في ٧ أكتوبر، هناك نقطتان:

النقطة الأولى: أنه من الواضح لدى الجانب الأمريكي، ما إذا كانت المصري، بوجوب انسحاب اسرائيلي من جميع الأراضي المحتلة يجب تنفيذها قبل امكان عقد مؤتمر أم أن المتوقع هو الموافقة من حيث المبدأ على هذا الشرط.

والنقطة الثانية: هي أن الجانب الامريكي قد تلقى الرسالة التالية من سفيره في طهران:

إن هويدا (رئيس الوزراء) قد استدعاني بناء على تعليمات الشاه، في الساعة ١٥، ١٤ بالتوقيت المحلي لكي يتلو عليّ برقية من الرئيس السادات للشاه، مبلغة إليه عن طريق السفير الايراني في القاهرة (خسرو خسرواني) الذي قابل السادات في أوائل بعد ظهر يوم ٧ أكتوبر بالتوقيت المصري، وباختصار فإن البرقية تتضمن وصفاً يتسم بالتفاؤل للموقف العسكري المصري على الضفة الشرقية لقناة السويس، وللبطولة المصرية في عبور القناة وانشاء رأس جسر هناك، ثم تطلب البرقية من الشاه ابلاغ الرئيس نيكسون، بأن مصر حتى الآن، كانت من أجل تفادي القتال على استعداد لقبول السلام بشروط معينة ومع ذلك فإنها مضطرة الآن للقتال واحتمال الخسائر، وهي لا تزال تريد سلاماً دائماً في المنطقة، ويود السادات أن يعرف الرئيس نيكسون، انه إذا كانت اسرائيل سوف تجلو عن جميع الأراضي، التي احتلت منذ ٥ يونيو ١٩٦٧ فإن مصر سوف تكون على استعداد للتفاوض باخلاص لوضع هذه الأراضي تحت رقابة الأمم المتحدة أو تحت رقابة الدول الأربع الكبرى أو تحت رقابة، دولية أخرى يتفق عليها، أما فيما يتعلق بشرم الشيخ فإن مصر على استعداد لقبول رقابة دولية لحرية الملاحة، عبر خليج العقبة بعد



الانسحاب الاسرائيلي، ويود السادات قيام الشاه بشرح ما سبق للرئيس نيكسون من أجل إيقاف الخسائر بأسرع ما يمكن.

وتوقف محمد حسنين هيكل لحظة، ثم أكمل:

وبعد أن اقتبس كيسنجر هذه الرسالة، وضمنها رسالته لحافظ اسماعيل، واصل الحديث قائلاً: إن الجانب امريكي يكون شاكراً جداً لايضاح الموقف فيما يتعلق بالانسحابات وللاختلافات بين مواقف الجانب المصري التي تضمنتها مذكرتك، وبين ما أبلغ لسفيرنا في طهران، وأن يوضح بصفة خاصة ما إذا كان سفيرنا في طهران قد نقل على وجه الدقة موقف الرئيس السادات بصدد الجلاء عن الأراضي ووضعها تحت رقابة دولية، وإني لأود أن أكرر القول إن الولايات المتحدة سوف تفعل كل شيء ممكن لمساعدة الأطراف المتنازعة على الوصول إلى إيقاف القتال، كما أن الولايات المتحدة وأنا شخصياً، سوف نساهم بنشاط في معاونة الأطراف إلى الوصول لحل عادل للمشاكل التي أحاطت بالشرق الأوسط على هذا المدى الطويل . . .

تحياتي الشخصية الحارة

(كيسنجر)

● بعد لحظة صمت كنت خلالها أحاول أن أستوعب ما سمعت، قلت لمحمد حسنين هيكل:

معنى هذا أن السادات بما قاله لسفير ايران في مصر، قد سحب كل النقاط المبدئية التي وردت في رسالة حافظ اسماعيل . .

■ ليس هذا فقط بل ودخلنا في متاهات، ويقول كيسنجر في مذكراته، إن رسالته كانت تتضمن طلبين وايضاحاً، فأما الطالبان فهما متاهتان، فكيسنجر قاد السادات إلى نقاش أشبه بالبحث عن أيهما سبق الآخر: البيضة أم الفرخة! هل يكون الانسحاب قبل عقد المؤتمر أم اثناء انعقاده؟ وهدفه هو كسب الوقت ليتمكن اسرائيل من تغيير الموقف العسكري لصالحها ثم أدخل السادات - بما قاله للسفير الايراني، حول موضوع من الذي يشرف الى الأراضي التي يتم منها الانسحاب -

نفسه في متاهة أخرى، وهكذا تصيده كيسنجر، وجره إلى مناقشات عميقة ومعجزة العبور قد تمت، والوقت الثمين يضيع: خمسة أيام كاملة كان خلالها الجيش قد عبر وانتظر.

●.....؟

■ أنا لا يعني هنا الرئيس السادات، أنا أتكلم عن قضية أساسية تهتم مصر، وتهتم طاقاتها الحقيقية، وقد يدهشك أنني تخرجت في «خريف الغضب» فلم أذكر كل هذا، ولم أمسه بتفاصيل، أما وقد أثير، فقد أصبح من حق شعب مصر أن يعرف من الذي بدد جهده الحقيقي وكيف اهدرت تضحيات أبنائه، وفي اعتقادي ان الجهد العسكري الذي بذلناه، كان يمكن أن يوصلنا إلى ما قاله كيسنجر للإسرائيليين، حين أبدى دهشته لأن السادات كان قادراً أن يسترد كل الأرض المصرية التي احتلت في ١٩٦٧ وهو ما نشرتموه في حديثي السابق مع الأهالي، إن الإدارة السياسية لحرب أكتوبر، على النحو الذي تكشفه هذه الرسائل، قادتنا إلى ما قاله حافظ اسماعيل، بدأنا بالبحث عن تسوية سلمية شاملة عن طريق الحرب وانتهينا بمجرد البحث عن وقف لإطلاق النار، الذي كان المقدمة لفك الارتباط الأول ثم فك الارتباط الثاني، وفي النهاية إلى كامب ديفيد!

والخلل الأول كان هنا في الإدارة السياسية للحرب!

● ألم يكن هناك ممن كانوا حول السادات آنذاك، من تنبه لهذا الوقت

الثمين الذي ضاع بين عبور القنال، وبين التفكير في تطوير الهجوم في ١٤ أكتوبر ١٩٧٣!

قال محمد حسنين هيكل:

■ في هذه النقطة أنا شاهد، كان هناك من تنبهوا إلى أن هناك وقتاً يضيع بقسوة وفضاعة، وكان هناك من أقلقهم ذلك من القيادة العسكرية المصرية، وخصوصاً من الشبان، وضباط أركان الحرب، وأحسن الرئيس السادات بقلقهم، ليس هذا فقط بل أحس به مكتب الاتصال العسكري، الذي كان موجوداً في قصر الطاهرة، حيث كان يقيم السادات، وكنت أعجب مما أراه ومما يحدث.

ولأنني رأيت ذلك، فإن الذين يسألون: لماذا امتنعت عن التعاون مع الرئيس السادات.

رغم كل ما حاول استرضائي به، بعد تركي للأهرام، لكن القضية لم تكن مناصب، لقد رأيت التواطؤ بعيني رأسي، شهدت أئمن الأزمنة المصرية وهي تتبدد هباء في طعم ابتلعه السادات، أو سعى لابتلاعه، مر يوم ٦ أكتوبر بانجازه العظيم، ثم مرت أيام ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ أكتوبر، ولا شيء يحدث على جبهة القتال، والاسرائيليون يستعدون للهجوم المضاد ويسألون لماذا رفضت أن أتعاون أحسست أنني لو فعلت بعد ما رأيت فمعنى هذا أنني أحمل ضميري ما لا يرضاه.

لقد أحس الشباب الذين كانوا يعملون في مكتب الاتصال العسكري بين الرئيس السادات وبين القوات المسلحة، بذلك القلق المتفجر في صفوف القيادة العسكرية، وايقظوا السادات وابلغوه، فلم يفعل شيئاً، بل إن السيدة جيهان السادات، شعرت بما يجري، وكتبت ورقة للمشير أحمد اسماعيل، تستحلفه بالله أن يولي من يصلح من رجال الجيش!

● أظن أن الاتحاد السوفيتي أيضاً شعر بالقلق لضياح الوقت، على النحو الذي رويته في كتابك عن «حرب رمضان»!

قال محمد حسنين هيكل وهو يتناول نسخة من كتابه حرب رمضان . .

■ نعم، وقد نشرت هذا في حياة السادات، ولم يرد عليّ أحد عليه أو على غيره إلا بالتشائم التي تعرفها، لأن أحداً لم يكن يعرف شيئاً، أو يملك حقيقة ليواجه بها ما قول أمام السادات فقد اتهمني بتزوير التاريخ، ولعلك تذكر الحملة التي شنها ضد كتاب الطريق إلى رمضان، وكان سببها الرئيسي، هو أن الكتاب ألمح إلى الإدارة السياسية لحرب أكتوبر، بما أغضبه، لأنه كان حقيقة ما حدث وقد حدثت الواقعة التي تشير إليها مساء يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣ وكان السفير السوفيتي قد قابل الرئيس السادات يومها في قصر الطاهرة، وعندما خرج من لديه، انتحى به جانباً وطلب أن يراني في الليلة نفسها، لأن هناك ما يود أن يقوله لي، وأضاف: إن الرئيس يبدو في حالة لا تسمح بمناقشة في بعض المسائل، وقد أخطرت السادات

باقترح فينو جرادوف عقد لقاء بيننا واستأذنته في لقاء السفير، وطلب مني أن أتصل به بعد انتهاء المقابلة، التي تمت في العاشرة من مساء الاثنين ٨ أكتوبر، وقال لي السفير وأنا أقرأ لك ما قلته بالنص في كتاب الطريق إلى رمضان، ونشر في حياة السادات «إن بريجنيف والمارشال جرتيشكو اتصلا به تليفونياً وإنهما كليهما، يعتقدان أن إسرائيل تشدد الضغط على الجبهة الشمالية وبعدهما تركز كل قواتها ضد مصر وقال: لقد كنت طوال الوقت في اجتماعات مستمرة مع ملحقينا العسكريين، وأقول لك الحق أنهم غير مرتاحين إلى النحو الذي يتطور إليه الموقف، ولست أدري السر في عدم تقدم قواتكم؛ لماذا لم تدعموا مكاسبكم وتبدأوا الاندفاع إلى الممرات أليس هذا الأمر المنطقي الذي يجب على جيشكم أن يفعله، ثم قال: إن الوقت ضيق جداً أمام العرب للحصول على نتائج فالزمن المحدد للقتال محدود. وقد أخذني فينو جرادوف في هذا اليوم إلى غرفة الخرائط بالسفارة، وأطلعني اثنان من الخبراء العسكريين السوفيت، على أوضاع القوات المصرية على القتال وقالوا إن وجود القوات بهذه الطريقة خطر جداً وأنه لا بد من كسر الجمود العسكري والتقدم إلى المضائق، الجيش إذا حرر المضائق، تكون القضية قد انتهت، وقالوا: إن مصر حصلت على نصر، ولا بد من تدعيم هذا النصر، وقالوا: إن كثافة الحشد العسكري على الضفة الشرقية مع بقاء حالة الجمود يعرضه لخطر شديد. وأكد لي فينو جرادوف ان معلومات السوفيت العسكرية تؤكد أن الطريق إلى الممرات خال وليس هناك عقبات.

وخرجت من بيت السفير السوفيتي وهو قريب من بيتي، واتصلت بالرئيس السادات، فعلمت أنه خرج مع ابنته الكبرى وخطيها، وذهبوا إلى حي الحسين لكي يتحسسوا مشاعر الناس تجاه الحرب. . وكانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل حين عاد الرئيس فاتصل بي تليفونياً ورويت له ما قاله لي فينو جرادوف فأحالني إلى المشير أحمد اسماعيل ورويت له ما حدث، لكن القضية كانت قضية قرار سياسي يملكه السادات وليس أحمد اسماعيل!

ما فات على الجميع الذين كانوا يضغطون لكسر الجمود، إن المسألة لم تكن

مسألة شلل سياسي ولكنها كانت مسألة تعهدات تتضمنها العبارة المشنومة أننا لا ننوي تعميق المواجهة أو توسيع مدى الاشتباكات.

● هل كان قرار توسيع مدى الاشتباكات أو تعميق المواجهة، من سلطة السادات. أم من سلطة غيره؟

■ إنني أعرف أنه كانت هناك مجموعة عسكرية كلفت بمهمة متابعة المعارك واقتراح بدائل قد تغيب عن بال القيادات المنهمكة في توجيه تفاصيل المعركة. وابتداء من مساء ٧ أكتوبر كانت هذه المجموعة العسكرية تبعث بتوصية متكررة للقائد العام مؤداها أن اللحظة قد حانت الآن لاطلاق المدرعات في اتجاه المضايق وما حولها.

لكن القرار لم يكن في يد القائد العام وإنما في يد القائد الأعلى.

وعلى أي حال فهناك في هذا الصدد عدة قضايا: الممكن وغير الممكن والمستحيل.

هل كان ممكناً أن نصل إلى المضايق؟ هناك غيري أقدر على الإجابة. هل كان ذلك من غير الممكن؟ نفس الشيء؟

لكن المستحيل تماماً هو أن يتبرع رئيس الدولة والقائد الأعلى للقوات المسلحة - وقواته تخوض معارك منتصرة ورائعة - بأن يعطي لعدوه أهم أسرار حربته تطوعاً على هذا النحو: نواباه وهدفه. ثم يعطيه الفرصة كاملة ليستعد وينقض.

● .....

■ لست من هؤلاء الذين يستسهلون إلقاء الاتهامات جزافاً.

ولكنني أؤثر هنا أن اتهم هذا التصرف على الأقل بالخطأ، لكنني وأنا أفعل ذلك استذكر كلمة دزرائيلي المشهورة عن سياسي بريطاني آخر في عهده. قال دزرائيلي: لقد وقع في خطأ، وهذا أسوأ من الجريمة. . الجريمة على الأقل فيها عنصر الإرادة، وأما الخطأ فهو شيء ينعدم فيه عنصر الإرادة!!

● قلت كثيرون سيستغلون ما قلت . . لكثير مما تعرف؟

قال محمد حسنين هيكل:

■ لماذا نخلط بين مصر الباقية والمخالدة وبين سياسات أو قرارات حاكم أو رئيس بحكمها سنة أو خمسة أو عشرة ثم يتحول إلى مجرد صفحة من تاريخها. لقد جدت علينا نظرية «الحلول» هذه. أن يحل الوطن في انسان مهما علا مقامه. تلك رواسب فرعونية لم يعد لها مكان في العصر الحديث. إن روح الاله لا تحل في جسد أحد، وبنفس المقدار فإن مصر كلها لا يمكن أن يستوعبها شخص جالس على مقعد حكم بحيث يصح القول بأن نقد سياساته عدوان على قدس الأقداس.

إن نشر وقائع قضية «وترجيت» في أمريكا، ثم خروج الرئيس نيكسون من البيت الأبيض لم يضعف أمريكا ولم يشوه صورتها للعالم. بالعكس أضاف إليها وزاد من قيمة الديمقراطية فيها.

وكذلك نشر وثائق حرب فيتنام السرية، ووثائق الغارات الجوية على كمبوديا.

الأمم العظيمة لا تخلط بين الرجل وسياساته وبين الأمة وأمنها ومصالحها الدائمة والمستمرة.

أكاد أقول إن اسرائيل كسبت في صورتها العالمية بسبب تحقيق لجنة كاهان بعد مذابح صبرا وشاتيلا.

بل لقد أصبح تقليداً شبه راسخ أن تجري الدول - بعد كل صدام مسلح بينها وبين غيرها - تحقيقاً فيما جرى سياسياً وعسكرياً. . . كذلك فعلت اسرائيل مثلاً بلجنة اجراءات. بل كذلك فعلت مسز تاتشر أخيراً بلجنة فرانك في حرب الفوكلاند رغم أن الانتصار البريطاني في هذه الحرب لم يكن موضع شك.

الا يستحق ما أقول تشكيل لجنة تحقيق؟ أليس ذلك أفضل وأجدي للوطن من حفلات التجريح التي تقام كلما اجتهد مواطن في شئون الوطن؟

## ● لماذا فعل السادات ذلك في تقديرك؟

■ إن الرئيس السادات اتخذ قرار الحرب مضطراً لأنه لم يعد لديه بديل، وقد شرحت ظروف ذلك وملاساته تفصيلاً في «خريف الغضب» بل لعلني أعترف أنني على صفحات الكتاب تعاطفت مع بعض أسبابه وأبديت فهمي لها مع إيماني بضرورة اتخاذ قرار الحرب في نهاية المطاف، لكن أما وقد جرى اتخاذ القرار فإن هناك قواعد بعد اتخاذه لا بد من التزامها لأن أرواح آلاف في الميزان.. لأن مستقبل أمة في الميزان.. لأن أمن وطن في ميزان. مفهوم انسانياً أن يتردد مسئول قبل اتخاذ القرار. لكن إدارة الصراع بعد اتخاذ القرار لا بد أن تتم بأكبر قدر من العلم.. بأكبر قدر من الاستتارة.. بأكبر قدر من الفهم.. بأكبر قدر من الحرص والدقة والمسئولية ولم يحدث ذلك مع الأسف، فقد كانت إدارته السياسية كما تكشفها رسائله تنطق بالحيرة والتخبط وتعكس رجلاً تورط فيما لم يكن يريد.

وراح يبحث عن أى مخرج من ورطته بأى ثمن !!

واذن فإن ما استنتجه السيد حافظ اسماعيل، من أن ثمار اكتوبر السياسية كانت «قليلة» لأن تطوير الهجوم فشل، ليس صحيحاً، والعكس هو الصحيح، فال تطوير فشل، لأن الادارة السياسية للحرب، أضاعت وقته وبددت فرصته!

## ● قلت للأستاذ هيكل:

هناك نقاط دفاع محتمل ضد وجهة نظرك، الأولى تقول اليس هناك احتمال بأن «الفقرة الكارثة» في الرسالة، كانت نوعاً من أساليب التفاوض، لجأ إليها السادات.. إن استنتاجاً مثل هذا قد ورد في مقال حافظ إسماعيل بشأن ما ورد في محضر لقاء كيسنجر السري بالاسرائيليين، فقد أشار إلى أن من الممكن القول، بأن كيسنجر كان يباليغ في وصف انتصارات مصر، لكي يضغط على الاسرائيليين فيتنازلوا فلماذا لا يكون السادات قد قصد بإبلاغ الامريكيين إنه لن يواصل الهجوم، أن يخدعهم أو يطمئنهم أو يحيدهم؟!

قال محمد حسنين هيكل بنفاد صبر

■ وهل هذا معقول؟ إن مذكرات كيسنجر تنفي هذا الاحتمال تماماً فقد كان احساسه بحجم الانتصار العسكري المصري كبيراً جداً، وكانت لديه معلومات

دقيقة عن الوضع العسكري وعن الكارثة العسكرية التي واجهت اسرائيل ثم إن طبيعة العلاقات بين أمريكا واسرائيل، لا تسمح لكيسنجر أن يدفعهم للتنازل، أو يضغط عليهم ولو أن ذلك صحيحاً لراجعه أحد المفاوضين الاسرائيليين ثم أن ديان كان من رأيه، وهذا وارد في المحاضر، أن السادات مستعد للقبول وأنه كان يتعجل اقامة الاحتفالات بالنصر، ولذلك طلب من كيسنجر ابلاغ طلبات الاسرائيليين له هذه علاقات استراتيجية دائمة تتعلق بالمصالح، وفيما يتعلق «بالفقرة الكارثة» فلست أتصور أن النقص في الاحساس بالمسؤولية والعجز عن التعبير يمكن أن يصل إلى استخدام عبارة كتلك لأهداف تفاوضية والأهم من هذا كله، أن هذا هو ما حدث فعلاً، فقد رفض السادات أن يطور الهجوم أو يصدر أمراً بمواصلة التقدم خمسة أيام كاملة.

● نقطة دفاع أخرى: هل كان الوضع العسكري من يوم ٦ أكتوبر إلى يوم تطوير الهجوم في ١٢ أكتوبر يسمح للجيش أن يتقدم إلى الممرات لو أصدر له السادات قراراً؟

■ معلومات السوفييت كانت تؤكد أن الطريق إلى الممرات شبه خال وكانت اسرائيل برغم تلقيها لرسالة السادات عن طريق كيسنجر، قد دفعت ببعض سرايا قليلة من الدبابات حطمت جميعها ولكن المؤكد أنهم كانوا مرتبكين تماماً من المفاجأة.

● يقول البعض ان التقدم إلى الممرات كان صعباً، لأن حماية حائط الصواريخ لم تكن تصل إليها؟

■ لا أريد أن أقحم نفسي فيما لا أفهم فيه، والذي نعرفه جميعاً أن العسكريين المصريين قد استخدموا انتشار الصواريخ بشكل رائع، وفي كل الأحوال فإن الخطأ رائع أركز عليه هو أن ابلاغ العدو بنياتك وأهدافك كاملة، وأنت في قمة انتصارك، ليس ادارة سياسية لحرب!!

● في تقدير حافظ اسماعيل أن حرب أكتوبر اعطت ثماراً سياسية لمن شارك فيها عسكرياً من أطراف المشكلة مشاركة فعالة، وفي رأيه أن مصر حصلت على شيء والآخرين - وخاصة الفلسطينيين والاردنيون - لم يحصلوا على



شيء، لأنهم لم يحاربوا كما حاربت مصر وأن هذا هو لب المشكلة، وليس  
الإدارة الساسية للحرب!

■ إنني سعيد جداً بعودة سيناء لكن سيناء لم تكن مشكلة - سيناء ليست مطلباً  
إسرائيلياً تاريخياً أو استراتيجياً، بالعكس ما كانت تريده إسرائيل، هو أن تفك  
ارتباط مصر بالوطن العربي فبدلك تفقد مصر قيمتها، إن مصر تلعب دوراً أساسياً  
في هذه المنطقة، فإذا فقدته، فقدت أهم ما لديها إنها ليست قارة كامريكا أو  
كالصين أو الهند. إنها مركز حضارى وعنصر تمدين في هذه المنطقة. وهذا دور  
وليس موقعاً جغرافياً. وهدف إسرائيل كان أن تفقد مصر دورها. أو تعزها عن  
أمتها. وكانت إعادة سيناء بما سمى ضمانات أمن لإسرائيل سهلاً على إسرائيل إذا  
ضمنت تحقيق هذا الهدف. وحولت مصر من دور إلى مكان. لا يفيدك بل  
يقيدك!

### ● قلت للاستاذ هيكل:

ما هي القيمة المستقبلية للحوار، أو حتى للتحقيق في طريقة الإدارة السياسية  
حول حرب أكتوبر في الظروف الراهنة؟

■ إن جانباً هاماً من دور مصر هو أن تكون بؤرة للحوار، وحين تسد منافسه  
داخلها، فهو يخرج منها ليعود إليها، هكذا فعل الشيخ محمد عبده، حين سدت  
أمامه السبل في مصر فأصدر العروة الوثقى في باريس. . . واذن فلا بد أن نتكلم  
وأن نتحاور. . .

وأن واحد من الذين يقولون إن السند الاساسي لشرعية النظام القائم الآن هي  
حرب أكتوبر، ولكن أي جزء من حرب أكتوبر. . . شرعية الاداء العسكري الرائع، أم  
شرعية الادارة السياسية المتهاكمة. . . أنا أقول إن الشرعية الحقيقية للنظام القائم  
هي شرعية جيل أكتوبر المحارب. . . أنا أقول إن هذه العبارة التي وردت في رسالة  
السادات إلى كيسنجر، كانت خنجراً في ظهر القوات المسلحة، يقولون لماذا  
ننحري حقيقة ما حدث في أكتوبر أنا أقول إن مؤدى الطريقة التي أديرت بها حرب  
أكتوبر سياسياً وما ترتب عليها هو أننا قد وصلنا إلى عهد لا تستطيع أنت وأنا أو أي  
إنسان أن ننكر - بعد ما حدث في لبنان - أنه عصر «الهيمنة الاسرائيلية».

ولا أريد أن يتصور أحد، أن هذا قدر مكتوب علينا، لا بد أن تفرق. بين قدرتك على صنع معجزة حققتها قواتك العسكرية، وبين عجز الحق بك، لغير ما دخل لك ولاسباب لا تتعلق بقدرتك، إن حرب ١٩٧٣ حرب دفع فيها الشعب المصري طاقات ضخمة، وأحسن العطاء بالدم والمال، كيف يمكن أن أحقق هذه المعجزة، ثم أجد نفسي قبل أقل من عشر سنوات في عصر الهيمنة الاسرائيلية؟

نستطيع أن نفعل شيئاً؟ وأقول إننا فعلنا الكثير في اكتوبر الحرب، وليس في اكتوبر السياسة، وأن الأمر الواقع الذي يحيط بنا الآن. وأنا أعلم أنه صعب جداً، لكنني لا أقيسه باعتباره قدراً ليس أمامي إلا أن أستسلم له، ولكن باعتباره أمراً واقعاً ما زال لدي من الوسائل ما أستطيع أن أتعامل معه دون استفزاز لاحد ودون مغامرات ودون طيش، ولكن تسمح لي أن أعيد حساباتي، وأن أنظر إلى ما حولي، وأن أقيم نفسي حق تقييمها. إنني لا أستطيع أن أقول لحسني مبارك: الغ معاهدة كامب ديفيد، ولكنني أستطيع أن أقول إن كامب ديفيد هي محصلة للادارة السياسية العاجزة، وليست محصلة للقدرات الحقيقية للشعب المصري التي تمثلت في الانجاز العظيم الذي شارك فيه، وأقول له إن الشرعية ليست في وصية، ولكنها في جسور العبور، في الناس التي حاربت فعلاً وفي الدم الذي سال فعلاً في العبقرية التي وضعت خطط القتال وطورت تكنولوجيا الحرب، في التضحيات بلا حدود والجراسة بلا تردد، في الذين ورثوا مجد التاريخ. وصنعوا مجد التاريخ.

وتوقف محمد حسنين هيكل عن الكلام. . . شملنا صمت عميق. . . وحين كنت أمببط بالمصعد حاملاً في حقيبتى الحق المر الذي قاله لي رأيت عبر زجاج المصعد، وفي لمحة خاطفة، جندين مصريين فقيرين، بحرسان مكتباً مغلق الأبواب، يقع مباشرة تحت المكان الذي كنت أجلس فيه قبل لحظات مع هيكل بحرسان «المركز الاكاديمي الاسرائيلي».

تركزت مرارة الحق في حلقي. . . وفي الطريق، كان هناك زحام من الناس الذين لم يسمع بهم أحد. . . الصناع الحقيقيون لمجد اكتوبر الحرب وليس لكارثة اكتوبر السياسية التي قادتنا لعصر «الهيمنة الاسرائيلية».

## قصة عرفات مع عبد الناصر والسادات

---

تحت عنوان (بصراحة) تعود جيل من المواطنين العرب أن يلتقي مع محمد حسين هيكل صباح كل يوم (جمعة) على صفحات جريدة (الاهرام) . . . وكان اللقاء مع هيكل لقاء مع من يقرأ الأحداث من موقع قريب جداً منها ومتفاعل بحيوية ملحوظة معها، وإلى ذلك أنه كان لقاء مع تحليل ينتهي إلى استنتاج أو توقع كثيراً ما كان يشبع متعشقين إلى المعلومات، وكثيراً ما كان يشير الجدل بين عواصم ومسؤولين ومتابعين ومثقفين ومراقبين. وتحت عنوان (بصراحة) أيضاً ذهبت «التضامن» إلى محمد حسين هيكل في منزله في القاهرة تطلب منه قراءته لما يجري اليوم في طول الوطن وعرضه.

● «التضامن»: في هذه الظروف، وأبو عمار، قائد الثورة الفلسطينية يواجه ما يحدث في طرابلس بشمال لبنان، هل لنا أن نطلب من محمد حسنين هيكل أن يتذكر لنا ظروف اللقاء الأول مع ياسر عرفات ثم اللقاء بين القيادة التاريخية للثورة الفلسطينية والرئيس (الراحل) جمال عبد الناصر، ونحن نطرح هذا السؤال لمعرفة، ومعرفة كثير من المتابعين لحقيقة أنكم بحكم قربكم من عبد الناصر لعبتم دوراً مميزاً في هذا الصدد.

● هيكل: التقيت بالأخ والصديق ياسر عرفات لأول مرة في سبتمبر ١٩٦٧. بالطبع كنت قد سمعت عنه قبل ذلك خلال متابعتي للنشاط الدائر على الساحة الفلسطينية وكان اسم «أبو عمار» يصل إلينا في القاهرة بين الحين والآخر باعتباره زعيم منظمة «فتح» التي كانت ظاهرة جديدة على الساحة الفلسطينية في تلك الأيام.

في البداية كانت «فتح» قد حاولت إقامة اتصال مع مصر، وتم هذا الاتصال مع بعض الأجهزة الرسمية المصرية المهتمة بالعمل الفلسطيني، وكان الذي قام بهذا الاتصال المبدي هو الأخ خالد الحسن. ولم تلق محاولة خالد الحسن في ذلك الوقت ما كان يتوقعه وتتوقعه «فتح» من القاهرة لأن الأجهزة التي اتصل بها كان لها رأي في «فتح» يعتبرها بالدرجة الأولى واجهة لتنظيم الإخوان المسلمين، وهو تنظيم كانت له أيامها مشاكل مع السلطة في مصر.

وببدولي أن «فتح» قررت أن تحاول تجربة اتصال مباشر مع جمال عبد الناصر يتخطى كل أجهزة الدولة، وهكذا جاءني رسول قدم لي نفسه في ذلك الوقت باسم «خالد».

إن «خالد» حدثني طويلاً عن «فتح» وبدوري فإنني نقلت صورة كاملة لجمال عبد الناصر، وفي اليوم التالي أخذته معي للقاء جمال عبد الناصر.

بعد أسبوع عاد إلي «خالد» ومعه شاب آخر من قيادة «فتح» قدم لي نفسه باسم «أبو اللطف» - فاروق قدومي الذي ذاع صيته فيما بعد باعتباره المسؤول الأول عن دبلوماسية العمل الفلسطيني.

«أبو اللطف» أعطاني صورة كاملة عن أصول وجذور «فتح» وتوجهاتها وآمالها. ومرة أخرى أخذته معي للقاء جمال عبد الناصر، وفي هذا اللقاء تم الاتفاق بيننا على مجيء ياسر عرفات إلى مصر. ولم تمض أيام حتى جاء ياسر عرفات ومعه أبو إياد، وكان أبو اللطف معهما.

في ذلك اليوم جلست ساعات طويلة مع الثلاثة نتحدث عن العمل الفلسطيني وامكانياته ومستقبله. واتصلت في المساء بجمال عبد الناصر لكي يحدد موعداً للقائهم.

وسألني رأيي فيهم، وأتذكر أنني قلت له:

- إذا حكمت بأول انطباع فإن ياسر عرفات فيما بدا لي رجل يستطيع أن يعطي حياته لقضيته ويستطيع أن يجسدها.

وأما أبو اياد فقد لفت نظري كمناضل صلب صريح مستعد لمواجهة تحدي الموت في أي لحظة.

وكان تعليق جمال عبد الناصر في التليفون كما أذكره:

- غريبة... إن كل الناس هنا لهم رأي مختلف عن رأيك في «فتح» وفي المسؤولين عنها.

ثم حددنا موعداً في الساعة الثانية عشرة ظهر اليوم التالي.

واتصلت بالثلاثة في ساعة متأخرة من الليل أَدعوهم إلى التجمع في مكنتي الساعة الحادية عشرة صباحاً نتحدث معاً بعض الوقت ثم نذهب في سيارتي إلى بيت الرئيس لموعدنا معه.

قبل أن يدخلوا مكنتي بدقائق صباح ذلك اليوم اتصل بي جمال عبد الناصر  
تليفونياً يقول لي:

- هل تعرف ماذا أقرأ الآن؟

واستطرد:

- أمامي تقرير ينصحني بأن لا أقابل أصدقاءك يقول التقرير إنهم جاؤوا لتنفيذ  
مؤامرة لاغتيالي.

ولم أجد ما أقوله لحظتها سوى عبارة: «هل هذا معقول؟»

وقال جمال جمال عبد الناصر: «أظنه غير معقول».

واستطرد: «أنا أعرف طبيعة مثل هذه التقارير ولو أنني صدقتها لما تحركت

خارج غرفة نومي!»

ثم سألتني فجأة قبل أن تنتهي المكالمة: «هل أنت واثق منهم؟»

وقلت: «بقدر ما أستطيع انسانياً».

وجاؤوا في موعدهم، وتحديثنا لبعض الوقت، ثم ركبنا سيارتي وكان ما سمعته  
من الرئيس يلح على فكري. وقررت أن أفتح الموضوع معهم ونحن بعد في  
السيارة تشق طريقها من وسط المدينة إلى «منشية البكري» حيث منزل الرئيس.

قلت لياسر عرفات: «كان الرئيس معي على التليفون قبل أن تدخلوا مكنتي».

ثم رويت له ما سمعت منه. وكان تعليق ياسر عرفات العفوي والتلقائي قوله:

«أعوذ بالله».

وحين وصلنا إلى بيت الرئيس ودخلت بنا السيارة إلى ساحته الداخلية ونزلنا  
لندخل من باب البيت، تقدم أحد ضباط الحراسة الخاصة يسأل الثلاثة إذا كان مع  
أي منهم سلاح؟ وتطوعت لضباط الحراسة بأن لا يلح في سؤاله، وكان ياسر عرفات  
في غاية الحرص والتنبه واللباقة، فقد قال لضباط الحراسة:

«إنني لم أخلع مسدسي أبداً منذ بدأنا العمل الفدائي، ولكن احتراماً

لجمال عبد الناصر أنزع سلاحي على بابه».

وفعلًا أخرج مسدسه ووضعه على مائدة في مدخل البيت .

ومرة أخرى تطوعت فقلت لياسر: «خذ مسدسك إذا أردت» .

وقال هو بسرعة: «لا يدخل أحد عليه بسلاح أبدًا» .

ودخلنا غرفة الصالون، ولم تمض ثوان حتى دخل جمال عبد الناصر، وفوجئت بما حدث بعد ذلك .

قام الثلاثة يحتضنون جمال عبد الناصر ويقبلونه، وأقبل هو عليهم كأنه يعرفهم منذ زمن طويل، وكانت دموع ياسر عرفات على خديه وهو يقول: «الحمد لله الذي جمعنا بكم» .

وفيما بعد قال لي جمال عبد الناصر إن قلبه تفتح لهم من أول لحظة، وكان انطباع أول لحظة دائماً شيئاً مهماً بالنسبة لجمال عبد الناصر على الناس .  
كان هذا الاجتماع الأول حاسماً في علاقة مصر بحركة «فتح» .

إن الصورة لا تزال حية في ذاكرتي، وعلى أي حال فلست من الذين يعتمدون بالكامل على ذكرياتهم، لأنني تعودت أن أسجل ما عشته من تجارب على الورق عارفاً أن شهادات التاريخ لا يمكن أن تظل معلقة بالذكريات تشحب صورها مع الأيام، وإنما الأفضل أن يتم تسجيلها أولاً بأول لكي تظل الصفحات ناطقة وصادقة .

وفي هذا اللقاء الأول - ودعني أعود إلى أوراقي - كان جمال عبد الناصر أكثر المتحدثين .

سمع منهم في البداية عن تنظيمهم: كيف نشأ، ودواعي نشأته، واتصالاته، ثم راح يحدد موقفه . وباختصار فقد كان موقفه كما يلي:

١ - إن تنشيط العمل الفدائي الفلسطيني قضية في منتهى الأهمية، وأن كل ما يريده منهم هو رصاصة تطلق كل يوم في الأرض المحتلة لكي يشعر العالم أن هناك قضية ساخنة لشعب صمم على تحرير نفسه .

٢ - إنه لا يريد أن يفرض عليهم وصاية من أي نوع، وأن لهم حرية العمل والاتصال على أي نحو يرونه مناسباً لظروفهم .

٣ - إن الجمهورية العربية المتحدة - في ذلك الوقت - منهمكة في نشاط دبلوماسي تقتضيه طبيعة الموقف الدولي، وهو يعرف أن هذا العمل الدبلوماسي لن يصل إلى نتيجة من دون عمل عسكري. وليس لهم أن يشغلوا أنفسهم بأي عمل دبلوماسي تقوم به مصر، ومثل هذا العمل على أي حال لا ينبغي له أن يكون قيماً على حركتهم.

لاحظ أن قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لم يكن قد صدر بعد، وكانت أزمة الشرق الأوسط تبحث برمتها في أجهزة الأمم المتحدة المختلفة: مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة. ولكن كان معروفاً أن قراراً ما سوف يصدر، وأن مصر قد تقبله إذا وجدت فيه أساساً صالحاً ولو كنقطة بداية معنوية، ولو أن جمال عبد الناصر كان مصمماً على اعتقاده بأن ما أخذ بالقوة لن يسترد بغيرها.

وكانت هناك مسائل عملية جرى بحثها:

\* سوف يكون التنسيق عملياً بينهم وبين اللواء محمد أحمد صادق مدير المخابرات العسكرية في ذلك الوقت.

\* طلباتهم من الأسلحة والذخائر وبعثات التدريب يتفق عليها مع اللواء الصادق.

\* إن مصر سوف تساعد «فتح» شهرياً بخمسة عشر ألف جنيه. وقد تم تقدير هذا المبلغ على أساس مناقشة احتياجات «فتح» في تلك الظروف. ثم كانت بعد ذلك خطوتان في منتهى الأهمية:

\* الخطوة الأولى أن تتولى «فتح» قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، وقد تم ذلك فعلاً بجهد مصري مكثف حتى تنتهي الازدواجية بين العمل الفلسطيني المسلح والعمل الفلسطيني السياسي وتجسد الثورة فعلاً وعملاً في منظمة التحرير بقيادة «فتح».

\* الخطوة الثانية كانت تقديم «فتح» إلى المجتمع الدولي بداية بالاتحاد السوفياتي ودول عدم الانحياز، وهكذا فإن ياسر عرفات جاء معنا في الوفد المصري الذي زار موسكو - ثم بلجراد - رئاسة جمال عبد الناصر في صيف ١٩٦٨.



وما زلت أتذكر كيف قدمه جمال عبد الناصر إلى بريجنيف وكوسيجين وبادجورني بعد غداء أقامته القيادة السوفياتية تكريماً لجمال عبد الناصر. لم يكن ياسر عرفات حاضراً الغداء، وبعثنا بعد الغداء ندعوه من بيت الضيافة الذي كان يقيم فيه، وكان القادة السوفيات مترددين في البداية؛ ثم أقنعهم جمال عبد الناصر، وتم الاتفاق على لقاء بين ياسر عرفات وأحد أعضاء المكتب السياسي المختصين بحركات التحرر الوطني، وهو «مازاروف» في ذلك الوقت.

وعد الاتحاد السوفياتي بأن ينظر في أمر مساعدة «فتح» كطرف مستقل.

وبعد ثلاثة أسابيع من عودتنا من موسكو، وأثناء لقاء لي مع جمال عبد الناصر، قال لي الرئيس:

- إن السفير السوفياتي أخطرنى بأنه تلقى رسالة من موسكو عن قرار الاتحاد السوفياتي بمساعدة «فتح» وقد قلت له إنك حلقة الاتصال بيني وبين «فتح»، وأنتك سوف تذهب إلى لقاءه وتسمع ما عنده وتخطر به أصدفائك.

وبالفعل فإني قابلت السفير السوفياتي في اليوم الثاني وسلمني ورقة صغيرة على الآلة الكاتبة وفيها قرار الاتحاد السوفياتي بأول مساعدة «لفتح» في حدود نصف مليون روبل، وتحت القرار بالأسلحة والذخائر التي يغطيها هذا المبلغ.

وبعثت برسالة إلى ياسر عرفات، فجاء إلى القاهرة، ونقلت إليه الرسالة واحتفظت بالأصل ضمن أوراقى.

وفي هذا اللقاء كان ياسر عرفات يتعجل تسلم بعض الأسلحة وخصوصاً الرشاشات المضادة للطائرات. ويسألني:

- هل يمكن أن أحصل على ما وعدنا السوفيات به من مخازن الجيش المصري فوراً، على أن يأخذ الجيش فيما بعد مما يصلنا من الاتحاد السوفياتي؟.

واتصلت بالرئيس، فوافق شرط التنسيق مع اللواء صادق. وذلك ما حدث.

هذه بدايات القصة. وأظنني أجبت عن أكثر من سؤال مرة واحدة.

● «التضامن»: حتى خلال عهد عبد الناصر لم تسلم العلاقات المصرية الفلسطينية من وجود خلافات، خصوصاً، عندما قبلت مصر مبادرة روجرز. ثم تطورت الأحداث وحدث الصدام بين الأردن والمقاومة وكانت أحداث سبتمبر «أيلول ١٩٧٠».

ولأن الوجود المصري في العالم العربي كان قائماً ومؤثراً بالدرجة الأولى فإن عبد الناصر دعا لانعقاد مؤتمر طارئ للقمة العربية عقد في القاهرة. كيف تم احتواء الموقف وانقاذ العمل الفلسطيني؟

■ هيكل: كانت تلك ظروفًا بالغة الدقة. لعلي لا أتجاوز إذا قلت إنها كانت ظروفًا مأساوية.

كان الموقف العام كله حافلاً بأسباب من سوء الفهم حاول جمال عبد الناصر بكل طاقته تبديدها.

من ناحية كانت المقاومة الفلسطينية قد أخطأت في فهم مغزى قبول جمال عبد الناصر لمبادرة روجرز، ولم تستطع بعض الفصائل أن تدرك أن هذا القبول الدبلوماسي كان مجرد تحرك يكسب وقتاً للعمل العسكري إذا جاء وقته. كانت خطة «جرانيت واحد» - عبور قناة السويس على خمسة محاور والتمسك برؤوس كباري على الضفة الشرقية للقناة تحت حماية حائط الصواريخ العظيم. وقد تم اعدادها والتصديق عليها.

وأمكن - بعد لقاء بين جمال عبد الناصر وقيادة «فتح» - ازالة سوء التفاهم في اجتماع حضرته معهم في استراحة المعمورة. وفي هذا الاجتماع لم يكتف جمال عبد الناصر بأن يشرح لهم أسبابه في قبول مبادرة روجرز وأن الأمل في نجاحها لا يمثل بالنسبة له أكثر من نصف في المائة، لكنه زاد علي ذلك فأشار إلى بعض التجاوزات التي تقوم بها بعض فصائل المقاومة في عمان، الأمر الذي قد يشكل استفزازاً للسلطة الرسمية للنظام الأردني.

في الوقت نفسه كان جمال عبد الناصر قد شرح الموقف المصري بالكامل للملك حسين خلال اجتماعات عقدها معه في قصر «رأس التين» بالاسكندرية وحضرتها في ذلك الوقت عضواً في الوفد المصري بصفتي وزيراً للإرشاد وعضواً في مجلس الأمن القومي وقتها.

وفي تلك الاجتماعات رجا الرئيس عبد الناصر الملك حسين أن تكون الحكومة الأردنية أكثر تسامحاً ازاء تجاوزات بعض فصائل المقاومة وأن لا يحسبها جميعاً على «فتح»

وهكذا فإنه عندما نشبت الأزمة بالسلاح بين المقاومة وبين حكومة عمان كان الأمر مفاجئاً للقاهرة. كانت هناك بوادر تنذر بالخطر، ولكن أحداً في القاهرة - على الأقل - لم يكن يتوقع تدهور الموقف بهذه السرعة.

كان جمال عبد الناصر - بناء على نصيحة الأطباء - قد سافر إلى مرسى مطروح في اجازة اتفقنا جميعاً أن لا يقطعها عليه أحد.

وبعد تدهور الموقف بسرعة في عمان لم يكن هناك مع الأسف بد من اخطاره بما حدث. والحقيقة أنه هو الذي اتصل من مرسى مطروح يسأل عن تفاصيل ما يجري بعد أن سمع من بعض محطات الاذاعة العالمية بأن الموقف في عمان قد تفجر.

وأتذكر أنني اضطرت، أسفاً، أن أعطيه صورة كاملة للموقف بالتليفون، وكان اقتراحي عليه أن يبعث بالفريق صادق - الذي كان قد أصبح رئيساً لهيئة أركان حرب الجيش المصري - في مهمة لتقصي الحقيقة والاتصال بالأطراف في عمان. ووافق الرئيس، وذهب الفريق صادق ثم عاد، ولم يكن تقريره باعثاً على الطمأنينة. هكذا قطع جمال عبد الناصر اجازة مرسى مطروح وعاد إلى القاهرة، ثم دعت تطورات الحوادث إلى المطالبة بعقد مؤتمر قمة فوري في القاهرة لبحث الموقف المتردي بين السلطة في عمان وبين المقاومة الفلسطينية، وهكذا كان المؤتمر الذي عقد في فندق هيلتون.

كان من المهم في ذلك الوقت اخراج ياسر عرفات من عمان. وهكذا فإنه عندما سافر وفد برئاسة الرئيس نميري إلى عمان مبعوثاً من مؤتمر القمة في القاهرة، كان أول مطلب للرئيس عبد الناصر من أعضاء الوفد ضرورة العمل على اخراج ياسر عرفات ليحضر المؤتمر ممثلاً لفلسطين. وبالفعل فإن الوفد عاد ومعه ياسر عرفات الذي خرج من مقره في أحد تلال عمان يرتدي ملابس أحد أعضاء الوفد الكويتي،

وكان الشيخ صباح الاحمد الصباح وزير خارجية الكويت عضواً في وفد القمة إلى عمان .

ولقد نجح المؤتمر بما يشبه المعجزة، وأمكن إيقاف تدهور الأمور. لكنها كانت آخر معارك جمال عبد الناصر، فقد سقط شهيداً في اليوم التالي للمؤتمر.

● في أوائل عهد الرئيس أنور السادات كانت العلاقات العربية الفلسطينية استمراراً، لما كانت عليه أيام عبد الناصر... دعم وتنسيق وتفاهم كامل مشترك. ثم جاءت معاهدة «كامب دايفيد» وكان الفراق بين مصر والثورة الفلسطينية، بل وخرجت مصر من ساحة العمل العربي.. وبدأت مراحل التردّي، فالمقاومة الفلسطينية فقدت هنا القوة الرئيسية الأولى التي تدعمها من دون أن تحاول احتواءها أو تفرض عليها نوعاً من أنواع الوصاية مثلما حدث من بعض الأنظمة العربية..

■ هيكل : صحيح . في بداية عهد الرئيس السادات - يرحمه الله - كانت العلاقات بين مصر والثورة الفلسطينية استمراراً لما كانت عليه أيام جمال عبد الناصر. وكان ذلك في الواقع طابع كل شيء في تلك الأيام من عهد الرئيس السادات، وربما كان ذلك انعكاساً لحقيقة ان الاساس الوحيد لشرعية السادات أنها كانت مستمدة من خلفته لعبد الناصر. إن الأمور. على الأقل في ظاهرها - ظلت كما هي حتى جاءت حرب اكتوبر التي استمد منها الرئيس السادات شرعية جديدة تحسب له ولا تستمد مصدرها من خلافة عبد الناصر فقط. وهنا بدأ الرئيس السادات يتصرف بمنطق مختلف في كل شيء. ليس فقط في علاقته بالثورة الفلسطينية ولكن في علاقته بالثورة المصرية ذاتها.

لا بد أن أقول، إحقاقاً للحق، إن الرئيس السادات في سنوات حكمه الأولى اعطى شيئين: خفف قليلاً من التوتر الذي اشاعته في مصر مراكز القوى بحركة التصحيح في ١٤ مايو ١٩٧١، ثم تحمل - بصرف النظر عن النوايا - مسؤولية قرار الحرب.

إن السادات، مع الأسف الشديد، لم يلبث أن نقض ايجابياته ذاتها.

التوتر الذي حاول تخفيفه بحركة التصحيح، عاد بعد ذلك أشد ما يكون بالعصبية والعنف والارهاب الذي راح يتصرف به خصوصاً بعد أن فاجأته مظاهرات الأسعار في ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ .

ثم إن اعصابه خانته في لحظة الانتصار فتخلى عن أهداف حرب أكتوبر في اللحظات نفسها التي كان يستطيع فيها أن يدخل تاريخ المنطقة كما لم يدخله أحد من قبل، ولا حتى محمد علي أو جمال عبد الناصر.

والحقيقة أن مشكلة السادات - كما حاولت شرحها في كتابي «خريف الغضب» - أنه لم يستطع أن يفهم حقائق الجغرافيا والتاريخ فيما يتعلق بحركة مصر ودورها في المنطقة.

لقد خلط بين الجغرافيا والفضاء، وبين التاريخ والأوهام وهذا قاده إلى منزلقات متتابعة: أزمة فك الارتباط الأول، ثم مصيبة فك الارتباط الثاني. ثم كارثة المبادرة التي انتهت بكامب ديفيد.

ولست ميالاً بطبيعتي إلى إلصاق تهمة الخيانة والعمالة بأحد. نحن في العالم العربي أحياناً نستعمل مثل هذه التهم. نستعملها أو نلصقها بالناس بالبساطة نفسها التي تستخدم بها طوابع البريد في حياة كل يوم.

إن كامب ديفيد كانت فيما أظن جهلاً بحقائق التاريخ والجغرافيا أكثر مما كانت أي شيء آخر.

ربما كانت هناك أيضاً غوايات الطريق السهل في مناخ عربي عام ترهلت فيه القيم، ربما كانت هناك أيضاً خديعة الوعود المبدولة بغير مسؤولية، أو لعله كان خداع النفس الذي يتمثل في المقولة المشؤومة بأن ٩٩ في المائة من أوراق اللعبة في الشرق الأوسط في يد الولايات المتحدة.

ربما... وربما. المهم أن المحصلة النهائية كانت كارثة شاملة، لأن خروج مصر من العالم العربي أحدث شللاً في العمود الفقري للأمم.

● «التضامن» جاء الاجتياح الاسرائيلي الشامل للبنان وكان الصمود الفلسطيني في معارك بيروت وعلى امتداد ٨٨ يوماً ثم كان الخروج الفلسطيني الثاني من بيروت إلى الشتات . . وانعقد المجلس الوطني الفلسطيني بالجزائر وتداعت الأحداث وتصاعدت الخلافات بين دمشق والقيادة الفلسطينية بداية من اخراج عرفات من دمشق وأخيراً بتوجيه السلاح ضد الشرعية الفلسطينية . . كيف تتصور هذه المرحلة . . ؟

■ هيكمل : أنت تعرف حماستي لفتح وتقديري واحترامي لقيادتها التاريخية التي استطاعت أن تجسد الوجود الفلسطيني بجهد يعتبر بأي مقياس خارقاً للعادة لأنه كان بناءً على غير أرض .

الحقيقة أن الثورة الفلسطينية في موقف معقد، فالقيادة بعيدة عن شعبها، والشعب محروم من أرضه، والأرض ذاتها مقطوعة الصلة بما حولها من بقية أوطان أمتها .

هذا وضع لم تقابله ثورة من قبل، وهو يخلق ظروفاً شبه مستحيلة . وأن تنجح قيادة الثورة الفلسطينية - رغم هذا كله - في تجسيد الوجود الفلسطيني وفرض الاهتمام به على الدنيا، فهذا انجاز ضخم ساعدتها عليه بغير شك الحركة القومية العامة، لكن دور القيادة الفلسطينية كان هو الدور الأساسي .

أما وقد قلت هذا، فينبغي أن أضيف بعده أنني لم أكن متحمساً لانعقاد المؤتمر الوطني الفلسطيني على النحو الذي عقد به في الجزائر .

إن المؤتمر على النحو الذي انعقد به كان شبه ما يكون بمهرجان تأييد للثورة الفلسطينية بعد بيروت، وفي اعتقادي أن الثورة الفلسطينية كانت في حاجة إلى مؤتمر عمل، مناقشة واعادة تقييم وتخطيط، ولم تكن في حاجة إلى مهرجان ولا كانت في حاجة إلى تأييد .

إن الثورة الفلسطينية في ذلك الوقت - وأنا أقول ذلك بمحبة - كان امامها جدول أعمال لا يمكن ارجاؤه، ولا يمكن الاستعاضة عنه بأي شيء غيره، ولا يمكن التغطية عليه بحماسة لحظة .

لقد كان واضحاً أن تجربة بيروت طرحت عدة قضايا يتحتم بحثها:

أولاً - لماذا لم يكن القتال في الجنوب - عندما جاء الغزو الاسرائيلي - على النحو الذي خططت له قيادة الثورة واعدت نفسها لاحتمالاته، وخصوصاً وأن نوايا الغزو الاسرائيلي لم تكن سراً، بل إن قيادة الثورة كانت على علم بها، ثم إن أطرافاً كثيرة مهتمة بينها - للانصاف - مصر حذرت مبكراً واطخرت؟

وثانياً - ماذا جرى بالضبط في معركة بيروت؟ وكيف جرى ترتيب الخروج منها؟

وثالثاً - ما هي الضمانات التي تلققتها قيادة المقاومة في شأن سلامة المدنيين الفلسطينيين في المعسكرات المحيطة بالمدينة؟ ثم كيف حدثت مذابح صبرا وشاتيلا؟

كانت هناك من قبل ذلك قضايا كثيرة تستحق المناقشة، وكان هناك احساس بتملل واضح في بعض أطراف الثورة، وكان لا بد من مناقشة أسباب ذلك ودواعية وتلافى نتائجه حتى لو لم يكن قد حدث على الاطلاق.

إن مشاكل الثورة غير مشاكل الدولة، وفارق كبير بين النوعين.

مشاكل الدولة قابلة للمواجهة بالحسم. ومشاكل الثورة تحتاج إلى الحوار قبل الحسم.

الدولة سلطة شرعية، والثورة قوة معنوية.

وهكذا فإن بعض مشاكل الدولة قد يحلها الزمن، ولكن بعض مشاكل الثورة يعقدها هذا الزمن نفسه.

كانت هناك قضايا أخرى متعلقة بالمستقبل.

إن لبنان كان قاعدة للثورة الفلسطينية، بل لعله كان قاعدتها الأساسية، وبخروجها منه فإن قواها - حتى مادياً، وعملياً - تبعثرت في أكثر من سبع جهات بعضها لم يكن مراكز حشد بقدر ما كان مواقع حجز.

كيف يمكن أن تتم السيطرة والقيادة في هذه الظروف، وتحت أي استراتيجية؟

ما هي آفاق العمل المتاح سياسياً وعسكرياً، وأين هي الحدود والخطوط بالضبط خصوصاً وأن الرقعة المتاحة كانت بعد بيروت قد ضاقت كثيراً وانكشمت؟

هذه كلها كانت مشاكل وقضايا بل وأزمات ملحة تقتضي المناقشة والحوار والحلول والبدائل.

لا أعرف، ولكنني أشعر أن هذا المؤتمر كان فرصة افلقت، ولم يكن ينبغي أن تفلت وأن تجيء وتذهب من غير عمل حقيقي للامساك باللحظة والامساك بالحقيقة والامساك بكل الاحتمالات الواردة والشاردة.

أقول ذلك، ليس بمحبة فقط لكن بحرص على الثورة الفلسطينية، وقيادتها التاريخية. لكنني أقول بعده وعلى الفور إنه كله، كله من أوله إلى آخره لم يكن ينبغي أن يدفع طرفاً من الأطراف إلى رفع راية الانشقاق وإلى تعريض الثورة لفتنة مسلحة يرتفع فيها سلاح فلسطيني لكي يسفح دمًا فلسطينياً وأن يصاب في هذا ومن غير مبرر شعب عربي آخر هو الشعب اللبناني، لم يكن له ذنب سوى أنه فتح للثورة الفلسطينية قلبه وأرضه وعرض دفاعاً عنها آمنه وحياته ذاتها.

ليس هناك عذر مهما كانت المبررات والدعاوى.  
إنني عندما أسمع صوتاً - مهما كان مصدره - يقول إن عرفات يلعب لعبة أميركا واسرائيل، أشعر بحزن وأسى.

ذلك بالمناسبة يقودني إلى حكاية بعض الأصوات والأقلام التي تنبيري الآن للدفاع عن ياسر عرفات والتباكي على قضيته.

بودي أن أقول لهذه الأصوات والأقلام ارحموا الرجل في أزمته واعفوه بالله من زهوركم المسمومة، وقبلات الموت، التي تحاولون طبعها على خديه. اقترابكم منه شبهة لا يحتاجها الرجل وهو بالقطع لا يريدتها.

● «التضامن»: في ضوء ما يجري حالياً في شمال لبنان، وفي ضوء ما حدث خلال تطورات الأحداث في لبنان منذ العام ١٩٧٥ وحتى الآن، ما هو تحليلك



للدور السوري الذي مر بمراحل متناقضة من مناصرة الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية إلى مناصرة «الكثائب» وضرب نخيم تل الزعتر، ثم الانقلاب على «الكثائب» مرة أخرى، ثم الاصرار الآن على الاطاحة بياسر عرفات، كذلك نود أن نعرف تحليلك لموقف سوريا من الحرب بين العراق وإيران.

■ في الحديث عن دور سوريا دعني أفرق بين شيئين سوريا التاريخية وهي قلب العالم العربي بحكم موقعها وامكانيات شعبها. وسوريا السياسية وهي السلطة الراهنة فيها في أي وقت من الأوقات. بالنسبة للثورة الفلسطينية ولأي عمل فلسطيني فإن سوريا التاريخية ليس لها بديل.

وبالنسبة لسوريا السياسية فإن أي خلاف معها هو في رأيي أمر لا ينبغي لأي قيادة فلسطينية أن تسمح به، ببساطة، لأن حقائق الأمور تقول لنا إن سوريا السياسية - سوريا السلطة السياسية - مهما اختلفنا أو اتفقنا معها - هي بحكم طبائع الأمور المفتاح العملي لباب سوريا التاريخية. لا أعرف إذا كان كلامي واضحاً، وهل أنا قادر على التعبير عما أشعر به، أم أن وضوح التعبير قد خانني؟

باختصار ما أريد أن أقوله هو: إن أي طرف يريد أن يستفيد أو يستغل أو يوظف دور سوريا التاريخية، عليه أن يتعامل مع سوريا السياسية - أي النظام القائم فيها مهما كان رأيه في هذا النظام. والبديل الآخر أن يقوم بتغيير هذا النظام إذا كان ذلك في مقدوره.

في مثل هذا الموضوع ليست هناك مشاعر وعواطف، وإنما هناك حقائق قوة لا فائدة من تجاهلها.

كمراقب من بعيد أشعر أن القيادة الفلسطينية كانت تفهم وتقدر حقائق سوريا التاريخية، وفي الوقت نفسه أشعر أن هذه القيادة كانت تدرك أحكام الواقع بالنسبة لسوريا السياسية، وأعرف أنها حاولت بكل الوسائل تجنب صدام مكشوف. إن الحساسيات بين قيادة الثورة الفلسطينية والحكم في دمشق لم تكن شيئاً

جديداً، وأتذكر مرات كثيرة في أحاديثي مع قيادات المنظمة أنني قلت وكررت: «لكم أن تختلفوا مع أي بلد عربي إلا سوريا، لأن سوريا هي طبيعياً وعملياً الشريان الحيوي إلى القلب الفلسطيني». ولقد كنت أتخوف أحياناً من أن يغلب كبرياء الثوار على صبرهم خصوصاً أزاء استفزازات غليظة من بعض عناصر السلطة الحاكمة في دمشق:

أعترف لك أن سوريا الراهنة تحيرني.

من ناحية، يبدو موقفها في الظاهر من القضية العربية العامة سليماً، فهي فيما يبدو تقف حجر عثرة أمام محاولات فرض تسوية أميركية اسرائيلية على المنطقة. ثم إن الرئيس حافظ الأسد - للانصاف - يلعب حتى الآن أوراقه بحذر وحرص.

ماذا وراء ذلك حقيقة وإلى أي مدى؟ لا أعرف.

من ناحية أخرى فإن تصرفاتها في بعض الجوانب لا يمكن قبولها لا ظاهراً ولا باطناً.

سنة ١٩٧٥ تدخلت سوريا الراهنة - السلطة الرسمية الحاكمة - في لبنان، وبعد أن كانت العناصر اللبنانية المتحالفة مع اسرائيل على وشك الانهيار أمام زحف تحالف القوى الوطنية اللبنانية - فإن التدخل السوري قلب الموازين لصالح أكثر القوى تخلفاً ورجعية في لبنان.

ان تبرير التدخل السوري في ذلك الوقت بمقولة الحفاظ على التوازن الطائفي في الصيغة اللبنانية مردود عليه بأن التدخل السوري ساند جماعة معينة ضمن أقلية طائفية تحاول الآن - حتى هذه اللحظة - أن تفرض على لبنان خلاً في التوازن لا يمكن قبوله وليس له سند غير حاملات الطائرات الأميركية في البحر أمام بيروت ودبابات جيش اسرائيل التي تحوم على الجسور بقرب تخومها.

والقول بعد ذلك إن التدخل السوري منع غزواً اسرائيلياً للبنان مردود عليه أيضاً، فغزو اسرائيل للبنان كان مغامرة شبه مستحيلة لولم تكن هناك تلك القواعد التي أقامها أصدقاء اسرائيل داخل لبنان. إن تلك القواعد لم تكن موجودة في ذلك الوقت. إن هذه القواعد وجدت وتعززت خلال سنوات التواجد السوري في

لبنان . إن التدخل السوري أعطى للقوى الأكثر رجعية وتخلفاً في لبنان فرصة التقاط الأنفاس واستعادة القوة والمضي بلا هوادة في بناء الامكانيات البشرية والعسكرية والسياسية التي تحولت إلى ركائز ساعدت الغزو الاسرائيلي للبنان . وسوريا ، فيما يبدو من ظاهر الأمور الآن . من أكثر الأطراف التي تقاسي وتعاني من النتائج التي ترتبت على تدخلها في لبنان .

أعترف أيضاً أنني عاجز عن فهم موقف الحكم في سوريا ازاء الحرب العراقية - الايرانية ، وبالذات قراره بوقف ضخ البترول العراقي إلى البحر الأبيض . إن الحرب العراقية . الايرانية لم تنشب لأن الرئيس صدام حسين استيقظ ذات صباح وقرر شن الحرب على ايران ، وإنما كانت المسألة أعمق من هذا وأخطر . أظن أن الرئيس صدام حسين كان ، فيما أتصور ، آخر من يريد الحرب . فالعراق في عهده أحس لأول مرة بمعنى الاستقرار والاستمرار . وكانت هناك خطة تنمية طموحه ، وكان الشعب في العراق قد بدأ يشعر أخيراً أن عائد بتروله يصل إليه ويسبقه إلى مستقبله .

لكن العراق رأى من وجهة نظره أنه مستهدف بعدوان ، وتعريف العدوان في العصر الحديث لم يعد تعريفاً بسيطاً ، وإنما قد يكون بوسائل أخرى غير السلاح . ان الثورة الايرانية - وقد كنت واحداً من المتحمسين لها - كانت معرضة لاندفاعات خطيرة - شأنها في ذلك شأن كل الثورات في مرحلة الجموح والانفلات .

أتذكر - وهذا مسجل في كتابي «مدافع آية الله» - أنني ناقشت الطلبة الايرانيين الذين كانوا يحتجزون الرهائن في السفارة الأميركية في طهران حول أفكارهم وتصرفاتهم في ذلك الوقت من نهاية سنة ١٩٧٨ . كانوا يظنون أن الدنيا كلها تقف معهم ، وعارضتهم في هذا الظن وجهاً لوجه في اجتماع داخل مبنى السفارة جلست فيه وسط أكثر من مائة منهم .

قلت لهم : «إنكم بمثل هذا الجموح تأخذون من الثورة الايرانية ولا تعطونها . تحولونها من ثورة انسانية عامة إلى ثورة اسلامية فقط . ثم تحولونها من ثورة اسلامية واسعة إلى ثورة شيعية فقط . ثم تحولونها من ثورة شيعية عامة إلى ثورة

لشيعة إيران وحدهم ، وهذا خطر يعود بكم إلى مزيج من الوطنية الضيقة التي تختلط بمذهبية محدودة ، وهو وضع مخيف بالنسبة لإيران وبالنسبة للمنطقة .  
إن قيمة الثورة الايرانية أنها كانت نداءً إنسانياً إسلامياً ، وأن يتحول إلى مذهبية وطنية ضيقة فهذه شحنة بالغة الضرر والخطر .

إن العراق ، بعد الثورة الايرانية ما لبث أن أحس بأن نداءها موجه إلى الشيعة ، وهم قرابة نصف مواطني العراق ، وإذا استجابوا للنداء فهذا معناه أن ينفك التركيب القومي للعراق وينفطر عقده . إن عروبة العراق كانت وحدها الوعاء الذي يمكن أن يصون وحدته ، ووحدته هي وجوده ذاته ، فإذا تعرضت هذه الوحدة لخطر فإن الخطر لا يمس العراق وحده ، وإنما سوف تمتد الموجة العاتية من العراق إلى ما وراءه وتتحول المنطقة كلها إلى شيع ومذاهب وطوائف .

إن العراق كان له الحق أن يشعر بالخطر خصوصاً وهو ملاصق جغرافياً لإيران ، فإن النداء الصادر عن الثورة الايرانية كان معناه - على نحو أو آخر - أن خطر السلخ والضم لمناطق شاسعة من العراق قائم ومائل ، وكان هذا هو خطر العدوان الذي أحس به العراق وتحرك لمواجهة قبل أن تنقض نوازله .

كان من حق النظام السوري أن يرى أن الحرب المسلحة بين قوميتين متجاورتين - العربية والايرانية - ليست السبيل الأمثل لمواجهة الوضع - ولكن ماذا كان واجبه؟

كان واجبه فيما أتصور أن يحاول بذل مساعيه الحميدة لوقف الحرب بين طرفين يرتبط مع أحدهما بروابط القومية ويرتبط مع الثاني بروابط الصداقة . وكان عليه . إذا فشلت مساعيه الحميدة - أن يلتزم على الأقل بموقف حياد . أما أن يفرض وقف تدفق البترول العراقي إلى البحر الأبيض فهذا معناه أنه دخل الحرب من بابها الاقتصادي ضد العراق .

كان واجبنا أن ندرك أن الاطار القومي الذي يحيط بنا أدياناً ومذاهب وطوائف وثقافات ومصالح وأمن - أشبه ما يكون بجلد الانسان الذي يصون ويحمي قلبه (الدين) ودماغه (العقل) وأعصابه (الشعور) وأحشائه (الاقتصاد) وحتى أطرافه (الحركة) . ولا نستطيع أن نسلخ انساناً من جلده ، ثم نتصور بعد ذلك أنه قادر على

الحياة. وهذا خطر لا يتهدد العراق وحده، وانما هو خطر مائل على كل شعوب الأمة العربية بما فيها سوريا نفسها.

وما يجري الآن في طرابلس شيء آخر في الاتجاه نفسه. لا يستطيع أحد اقناعي بأن الحكم في سوريا ليس طرفاً محرضاً في هذا الاقتتال الفلسطيني في طرابلس أو أنه عاجز عن ايقافه. ومع ذلك فلو أن الحيداد السوري كان صحيحاً، كما يقال في دمشق، لكان عليها أن تقول للطرفين الفلسطينيين في الشمال اللبناني - عرفات وأبو موسى - إما تتم تسوية ما بينكما هنا، أو فأخرجنا أنتما الاثنيين إلى مكان آخر تسويان فيه الخلاف. هذه بقعة من الأرض لا تتحمل إلا رصاصاً يوجه إلى اسرائيل، فإذا ما اتجه الرصاص إلى غيرها فإن العواقب وخيمة وليس في مقدور أحد أن يتحملها. ميزان القوة في الشمال اللبناني واضح لا لبس فيه، وهو في يد سوريا حتى هذه اللحظة، وإذا لم تستعمل سوريا امكانياته بعقل فإن الميزان سوف ينتقل إلى يد أخرى تقول للفلسطينيين جميعاً وللبنانيين وللسوريين أيضاً: اخرجوا أنتم جميعاً. . . جميعاً ومن دون استثناء من هنا. ساعتها لا ينفع ندم.

مشكلتنا جميعاً - وليس سوريا وحدها - أننا نتصرف في بعض الأحيان بمنطق الثأر بين القبائل، نخلط بين الألعاب التكتيكية المؤقتة وبين المصالح الاستراتيجية الدائمة، وتكون النتيجة أن نبعث بأقدارنا ونسلمها بأيدينا إلى آخرين ونصبح ذات يوم وإذا ٩٩ في المائة من أوراق اللعبة في يد هؤلاء الآخرين.

هذا هو المنطق الذي حول المنطقة من مسرح للتاريخ إلى مسرح للعرائس. . . أليس كذلك؟

### ● «التضامن»: ألا تعتقد أن سوريا مستهدفة هي أيضاً؟

■ هيكل: صحيح بالنسبة لسوريا التاريخية. المهم أن تعرف سوريا الراهنة جوهر الحقيقة في سوريا التاريخية، وأنا لم أفقد الأمل بعد ذلك، ولا أستطيع ولا يستطيع غيري أن يفقد الأمل خصوصاً وأن سوريا الآن مستهدفة، سوريا كلها: سوريا التاريخية وسوريا السياسية على السواء.

● «التضامن»: هل توافقون أن اقتال طرابلس معناه أن هناك شرخاً قد

وضع في الجسد الفلسطيني..؟

■ هيكل: بالتأكيد هناك شرخ، لكنك لا تستطيع أن تأخذ الشرخ الفلسطيني وحده، فهذا الشرخ أثر من آثار تصدع البناء العربي كله، والخطر محيق بالجميع.

● «التضامن»: يعتقد البعض أن ما جرى هو الفصل الختامي لياسر عرفات

ولمنظمة التحرير الفلسطينية... وأن المنظمة قبل الاقتال غيرها بعده..

هل تعتقد أن ياسر عرفات انتهى كما يزعم البعض أو كما يتمنى البعض؟

■ هيكل: هو بالطبع في موقف حرج، لكني لا أعتبرها النهاية، والأمر على أي حال يتوقف عليه، وأحسب أنه في موقف يشبه إلى حد ما موقف جمال عبد الناصر بعد سنة ١٩٦٧، وإن كان موقف عرفات أصعب، فجمال عبد الناصر كان يقود معركة وجود شعب يراد له أن يكون غريباً في أرضه وأن تكون قيادته منفية بعيداً عن الشعب والأرض لا في فلسطين ولا خارجها.

وعلى أي حال فإن مستقبل الثورة الفلسطينية، ومنظمة التحرير الفلسطينية، لن يقرره غير الشعب الفلسطيني، مهما كان هذا الشعب الآن مهوراً بالارهاب الاسرائيلي وممروراً من القمع العربي.

الشعب العربي المهبور الممرور في فلسطين ما زال أقدر على الحسم في مستقبل منظمة التحرير وشرعية قيادتها من أي دبابات أو مدافع سورية أوليبية!

● «التضامن»: هل توافق على أن اسرئيل هي المستفيد الأول من كل ما

جرى، وأيضاً الولايات المتحدة، وكيف تفسر السلوك الاميركي الآن تجاه

الأزمة... ثم هل تعتقد أن مرحلة كاملة من العمل العربي قد سقطت وأتينا

مقبلون على مرحلة جديدة..؟

● هيكل: ربما يكون المستفيد على المدى القصير هو الولايات المتحدة.

اسرائيل ليست هي المستفيد الأول فيما أرى، بل العكس، فإن كل وقائع ما

جرى في السنة الأخيرة في لبنان كشفت عن حقيقة كبيرة تستحق أن نعيها بالكامل

وهي محدودية اسرائيل.

لقد أثبتت هذه السنة كل أوجه القصور في هذا الكيان الصهيوني الذي بدا لنا لسنوات طويلة عملاقاً ضخماً، ثم أثبتت الحوادث انه عملاق له قدمان من فخار قابل للكسر.

إن اسرائيل بغزو لبنان - ولعدة أسابيع لا أكثر - حاولت أن تظهر في المنطقية كقوة امبراطورية محلية قادرة على بسط هيمنتها على المنطقة.

لكن الحقيقة كانت أقوى، وكانت اسرائيل أول من اكتشف ضعف العملاق والاقدام الواهية الهشة التي تحمل كيانه وحركته.

عسكرياً أن العبء أكثر فداحة مما تستطيع أن تتحمله.

واقتصادياً اكتشفت أنها بغير اقتصاد حقيقي يستطيع أن يستوعب تكاليف مغامراتها.

أكثر من ذلك . . .

فإن الانسان الفلسطيني واللبناني اكتشف بنفسه ان البطش الاسرائيلي عقيم، وأن العنف البادي منه هو تعبير عن ضعف أكثر منه تعبيراً عن قوة . . . العنف غير القوة.

الانسان الفلسطيني واللبناني الذي واجه اسرائيل واصطدام بجيشها في الضفة الغربية وجنوب لبنان أثبت أن الجيش الاسرائيلي ليس هو ذلك الجبار الذي ترتعد الفرائض من مجرد ذكر اسمه . وللانصاف فإن الجيش المصري كان أول من كشف الحقيقة في حرب أكتوبر، ولكن الانسان العربي العادي وصل إلى النهاية - في فلسطين ولبنان - في احساسه بقدرته على مواجهة اسرائيل والامساك بلحمها وجلدها.

تجربة لبنان، بالدرجة الاولى، جعلت الجيش الاسرائيلي لأول مرة يواجه تجربة التواجد وسط بحر الكثافة السكانية العربية ويدفع الثمن الباهظ لهذا التواجد.

هكذا قررت اسرائيل أن تلملم أطراف حلمها الامبراطوري، تركز على الضفة الغربية، وتقتصر خطوطها في لبنان، وتنسحب إلى نهر الاولي، ومع ذلك فإن لحمها وجلدها ما زالوا ينزفان دماً كل يوم.

بانكماش الدور الامبراطوري الاسرائيلي عادات المسؤولية فاستقرت مرة أخرى على أكتاف الولايات المتحدة التي تبدو الآن لأول وهلة وكأنها المستفيد على المدى القصير مما يجري الآن في لبنان .

الولايات المتحدة هي الأخرى سوف تكتشف أن الثمن باهظ والعبء ثقیل .  
أليس غريباً شكل هذا الحشد العسكري المروع أمام الشواطئ اللبنانية؟ لماذا وفي مواجهة أي عدو؟ أليس غريباً أن الاساطيل الاميركية بجلالة قدرها وجدت نفسها تخوض حرباً ضد من؟ ضد مواقع بعض المقاتلين الدرروز في جبل الشوف؟ وضد معسكرات بعض الفدائيين الشيعة في البقاع؟  
عندما يزيد معيار القوة عشرات بل ومئات المرات عن الهدف المطلوب مواجهته، فإن الصورة لا تصبح مخيفة وإنما مضحكة .

فيل يطارد نملة على قمم الجبال وفي الوديان .  
لن يستطيع مهما فعل . ومهما فعل فإنه سوف يزداد عصبية وهمجية مع كل لحظة وساعة .

إن الولايات المتحدة كانت تستطيع أن تواجه كل التركيبات السياسية العربية وأن تهزمها أو تطويها، أما الآن فإن الولايات المتحدة تواجه الواقع الحي العربي . . . كانت القمم سهلة أمامها، وأما الآن فإن الواقع الحي العربي ساحة أكثر تعقيداً وصعوبة والانتصار عليه شبه مستحيل .

وأعود إلى سؤالك: قد يدهشك إذا قلت لك أن الولايات المتحدة - وإن كانت هي المستفيد على المدى القصير - فإن الفائدة على المدى البعيد هي للأمة العربية .

إن ما يجري الآن في لبنان ينهي تماماً بقايا مرحلة من العمل العربي استهلكت نفسها، وربما كان ذلك خيراً لأنه يفتح الطريق تماماً لمرحلة أخرى .  
أعرف أن الفترة بين مرحلة تسقط ومرحلة تظهر سوف تكون فترة صعبة . . . سوف تكون ملاًى بظواهر كثيرة للفوضى والقلق، لكن ذلك لا يهم فيما أظن .  
وفيما أظن « فإنه لا بد مما ليس منه بد » كما كانوا يقولون .

إنني لست بطبيعتي فوضوياً، ولا أنا من أنصار ترك الأمور لمقاديرها، لكن



هناك لحظات في التاريخ لا يملك أحد حياها شيئاً سوى أن يتركها لتفاعلاتها. وعلى أي حال فقد حدث الانفجار في هذه المرحلة من العمل العربي، ولسوف يجري رفع الانقاض، لكن الناس مازالوا مأخوذين بعد بالصوت والصدى وبالنار والرماد، لكنهم بعد ذلك سوف يبدؤون في رفع الانقاض، وبالتأكيد فإن الأرض لن تظل بعد ذلك خراباً أو فراغاً.

هكذا تراني وإن بدا التشاؤم في ظاهر ما أقول فإن حقيقة هي التناؤل ذاته. لا مفر من بداية جديدة. دورة جديدة. لا يتوقف التاريخ ولا تتوقف الحياة. ● «التضامن»: في ظل غياب مصر عن عالمها العربي حدث ما حدث. وما يجري الآن في طرابلس يدفعنا إلى التساؤل حول التباطؤ العربي في مواجهة الخطر؟

■ هيكل: لا أعرف ما الذي تقصده بوصف «التباطؤ العربي». ما أراه أمامي أخطر من مجرد التباطؤ، أن التباطؤ يحمل معنى إن هناك ارادة، وأن هذه الارادة - قاصدة أو بغير قصد - لا تتحرك لمواجهة موقف معين بالسرعة الواجبة. وليس هذا ما أراه. الذي أراه أمامي تمنيات وأحلام عجز. وكل واحد يملك أن يتمنى ويحلم. أما الارادة فشيء آخر. لا بد أن أقول، مع الأسف، إن الأمة العربية بغير عمودها الفقري - مصر - عاجزة عن الحركة. مراكز الاعصاب التي تحرك مقدره العمل معطلة. هذا صميم المشكلة.

هل تسمح لي أن أروي لك سرًا؟  
قبل فترة زار موسكو أحد كبار المسؤولين العرب، والتقى بوزير الخارجية السوفياتي المخضرم «اندرية غروميكو».

كان المسؤول العربي عاتباً، وقال للوزير السوفياتي ضمن ما قال: - «إن الشرق الأوسط أشبه ما يكون برقعة شطرنج والولايات المتحدة تلعب ونحن نلعب أمامهم وحدنا وتحت أيدينا حجارة كثيرة، وأنتم تفرجون». ونظر غروميكو إلى المسؤول العربي ثم أطلال النظر، ثم قال بنصف إبتسامة كسيفة:

- «انتم لا تريدون الاعتراف بأن هذه الجولة من اللعب قد انتهت . . . إنهم أكلوا الملك في القاهرة»!

● «التضامن»: هناك من يقول إن فلسطين قضية مصرية ومصر قضية عربية. والاحداث كلها في المنطقة تؤكد أن عودة مصر إلى العرب أو عودة العرب إلى مصر قضية حتمية . . ؟

■ هيكمل: لا بد أن تعود مصر. هذه حتمية تاريخية، لكنها لا تتحقق على الفور لمجرد أنها حتمية، وإنما بعمل جاد وشاق ومستتير يبدأ بتحقيق تواجد فعلي لمصر لكي يكون هناك تأثير حقيقي لمصر في الوضع العربي العام. إن مقدرة أي طرف من الاطراف على التأثير في أي وضع عام لا تصنعها الكلمات الكبيرة ولا اظهار حسن النوايا، وإنما تتحقق هذه المقدرة لأي طرف عندما يصبح جزءاً من حركة موازين القوى في الوضع الذي يريد التأثير فيه.

وفي مجموعة الازمات المتشابكة الآن في لبنان، فإن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي كلاهما يملك ان يكون طرفاً بحكم تواجده المباشر أو بحكم تحالفاته مع أطراف مباشرين.

واسرائيل طرف بقوة السلاح. وسوريا طرف بمعايير القوة نفسها. والسعودية ومجموعة دول الخليج طرف عن طريق المساعدات بالمنح أو بالمنع، وكان يمكن لمصر أن تكون طرفاً كاملاً بمجرد التواجد المعنوي القائم على تحريك ثقة جماهير عربية واسعة، مع القدرة على تحريك هذه الجماهير، لكن هذه القوة المعنوية جرى تسليمها مع ٩٩ في المائة من أوراق اللعبة في مرحلة مضت. وبالتأكيد فإن مصر التاريخية لها قدرها ولها احترامها بصرف النظر عن التقلبات السياسية، لكن المشكلة أن عقب التاريخ وحده لا يكفي لتحريك موازين القوى. وهكذا فإن التحدي الذي تواجهه مصر الآن هو: كيف تتواجد على ساحة الأوضاع العربية بطريقة تجعلها - مادياً أو حتى معنوياً - عاملاً مؤثراً على موازين القوة.

● «التضامن»: يلاحظ أن الرئيس مبارك من اللحظة الأولى لولايته أعاد تأكيد انتماء مصر للعالم العربي، أعاد تصحيح المسار، وموقف الرئيس مبارك

الأخير الداعم للمنظمة ولوحدتها وللشريعة الفلسطينية هو موقف متقدم وفي ظل الظروف والمتغيرات العربية والدولية المحيطة بمصر. ماذا تقول انت للرئيس حسني مبارك..؟

■ هيكمل: أقول للرئيس حسني مبارك: لقد حملتك مصر من أحلامها بأكثر مما تسمح به الحقائق. ثم ظهرت الفجوة بين الطموح والواقع، ولم يكن هذا ذنبك، لكن الآمال معلقة بك بمقدار ما أن آمال الامة العربية ما زالت معلقة بمصر، وأنت تستطيع أن تقود الكل إلى بداية مرحلة جديدة يتشوق إليها الجميع، وهي مرحلة الانسان العربي.

لم يعد في امكان أحد أن يقود مصر أو يقود من مصر ثورة من أجل الوحدة العربية مثلاً، تلك قضية أصبحت الآن معلقة بمستقبل بعيد، سلامة الاوطان قبل أن تحلم بوحدتها. ولم يعد في امكان أحد أن يقود مصر أو يقود من مصر ثورة من أجل الاشتراكية... الواقع الاجتماعي العربي يجعل ذلك غير مطروح على الأقل في الوقت الراهن. وعلى أي حال فإن الأرض العربية قد امتلأت ببذور ما تزال خضراء ايماناً بحتمية الوحدة العربية وبقيام نظام اجتماعي عربي جديد، وليس في طاقة أحد أن يجمع هذه البذور من التربة، وحتى حرث الأرض العربية بأي طاقة قوة وعنف لن يفعل أكثر من تعميق هذه البذور، وسوف تنبت الخضرة منها ذات يوم بغلبة الحياة نفسها وباحكام الطبيعة وضروراتها. وليس هناك داع الآن لتعجل فترة النمو والنضج لأنها سوف تأخذ وقتها وتستوفي حينها. لكن الممكن الوحيد الآن في مصر ومن مصر هو ثورة من أجل الانسان العربي. حقوق الانسان العربي. حقه في الحرية. حقه في المشاركة. حقه في صنع القرار. حقه في توجيه المستقبل. هذا الانسان سوف يصنع الوحدة، وهذا الانسان سوف يفرض العدل الاجتماعي بالاشتراكية أو بغيرها.

هذه هي الثورة الوحيدة الممكنة الآن، والمطلوبة الآن، والضرورية الآن، وهي أو الطوفان.

أن هذه الثورة الممكنة، والمطلوبة، والضرورية، هي التي تستطيع إن تملأ مصر كلها في هذه المرحلة، وتستطيع أن تفيض منها بغير عوائق لتغمر أرض الامة

العربية كلها بخصب جديد.

وأقول للرئيس مبارك أخيراً: أنه ليس من حق أحد أن يثير لديك شكاً في مطلب التغيير الذي كاد أن يكون الآن مطلباً اجتماعياً في مصر. أن قضية التغيير ليست قضية جديدة، لكنه مطلب طرح في مصر بالحاح منذ اعقاب سنة ١٩٦٧ وما جرى فيها، بل إن مطلب التغيير كان هو الأساس في الضغوط الشعبية الهائلة التي عاشتها مصر سنة ١٩٦٨ وصدر في وقتها بيان ٣٠ مارس... واعدأ بالتغيير.

أتذكر أنني بنفسى - وأنا القريب من جمال عبد الناصر والصدديق الصدوق له - كتبت مقالاً في ١١ اكتوبر سنة ١٩٦٨ بعنوان «هل تحقق التغيير؟»، وكانت إجابتي بـ «لا»، ثم قلت فيه ما معناه - بغير لف ولا دوران - انه «إما أن يستطيع النظام أن يغير أو أنه سوف يتغير».

وإذن فالقضية مطروحة منذ زمن طويل، والمطالبة بها ليست شيئاً طارئاً ظهر الآن فجأة. أن مصر كلها كانت تطالب بالتغيير، ولكن المطالبة به كانت محكومة بظروف الحرب، ومن سوء الحظ إن الحرب جاءت وانتهت. ومن دون أن أخوض في تفاصيل كثيرة ليس هذا مكانها ولا زمانها، فإن نتيجة الحرب جاءت أقل كثيراً من الجهد الذي بذل فيها ودون مستوى تضحيات الدم الذي روى بشجاعة وشرف ميادين قتالها.

وبعد الحرب فلقد جرت محاولات للالهاء، وجرت محاولات للارهاب، ولكنها لم تصل إلى نتيجة... ثم تراكمت بعد الحرب اثقال واحمال، وهكذا فإن مطلب التغيير زاد تأكيداً وزاد حدة.

ليس تغييراً في الاشخاص ولكن أكبر.

وليس تغييراً في الاساليب ولكن أعمق.

ولقد شاءت ملاسبات تاريخية طيبة ان تكون أنت الآن على موقع المسؤولية الاولى في مصر، ولا أقول أنه قدرك، فلقد ابتدلنا هذه الكلمة حتى عشنا بالمقادير - لكنني أقول إنها فرصتك وفرصة مصر وليس لهذه الفرصة أن تفلت لأي سبب - وكان الله في عونكما.

# الاتفاق الامريكي الاسرائيلي : أبعاده ومغزاه

---

كانت لدينا دوافع كثيرة لكي نحاور محمد حسنين هيكل في شأن الاتفاق الاستراتيجي الأمريكي الاسرائيلي . فهو الذي قال - وما زال يقول حتى الآن ومنذ منتصف الستينات - بإمكانية تحييد الدور الأمريكي في المنطقة، والذي رفع شعار استحالة التناطح رأساً برأس مع امريكا .

والآن ما موقف رجل طالما نادى بتحييد أمريكا وعدم التناطح معها من هذا الاتفاق الاستراتيجي وما هي ولماذا توقته الآن وما هي هوامش العمل المتاحة لمواجهة مخاطره؟ .

استمر الحوار مع هيكل أربع ساعات قال فيها إن العلاقة الخاصة بين أمريكا واسرائيل قديمة وإن هذا الاتفاق قديم في الادارة الأمريكية ومع هذا فقد أتى الاتفاق بما هو جديد وخطير ولا بد من دراسته .

● المصور: نبدأ من قلب القضية، من وجهة نظرك، ما مغزى هذا الاتفاق وما أبعاده في هذا الوقت بالذات .

■ هيكل: الحقيقة أن هذا موضوع هام وهو يستحق أن تدور حوله أوسع المناقشات وكل موضوع هام تطرحه علينا الظروف التي نعيشها الآن، فإننا يجب أن نقرب منه بدون حدة وبدون تعصب وبدون عناد. يصر مسبقاً على أنه وحده يملك مفاتيح الحقيقة. في أيام سابقة كانت الظروف تسمح لنا بترف الحدة والتعصب والعناد. وكان ذلك في أيامه خطأ. وهو الآن أكثر من خطأ، لأن الظروف لم تعد تحتل.

أقول هذا ثم أضيف إليه على الفور، أننا بالفعل أمام مسألة خطيرة. لا بد لنا على الأقل أن نستوعب ونتفهم أسبابها ودلالاتها ونتائجها. وأظن أن تفهم واستيعاب أي مشكلة يمكن أن يكون جزءاً من الطريق إلى حلها، وجزءاً من الاستعداد لأعبائها.

ربما تسمحون لي أن أجيب على سؤالكم بطريقة قد لا تكون مباشرة. أي صيغة سؤال والرد عليه وكفى.

في هذا الموضوع بالذات أريد أن أعرض لتصور ولصورة أوسع. وأظن أن هذا الأسلوب قد يكون أكثر ملاءمة خصوصاً في مثل هذا الموضوع الذي تطرحونه للمناقشة الآن.

أستاذكم في أن أبدأ معكم بمناقشة بعض الآراء التي قيلت عن هذا الاتفاق. إنني أريد أن أبدأ بأن أنفي عن هذا الاتفاق ما ليس فيه.

أولاً: يقال أنه ليس هناك جديد في هذا الاتفاق. كان مثل هذا التنسيق الاستراتيجي موجوداً باستمرار بين أمريكا وإسرائيل. فلماذا هذه الضجة الآن. ولست من أنصار هذه المقولة.

صحيح أننا جميعاً نعرف أنه كانت هناك علاقة بين إسرائيل وبين الولايات المتحدة. وكانت هذه العلاقة بالواقع على المستوى الاستراتيجي لكنها كانت تمارس بطريقة تختلف.

على سبيل المثال: كانت الولايات المتحدة الأمريكية تضع مسافة واضحة بين خطوطها وخطوط إسرائيل. وإذا أخذنا موضوع السلاح مثلاً: فإن الولايات المتحدة الأمريكية ترددت طويلاً قبل أن تصبح مورد سلاح لإسرائيل. قد نقول أنها حاولت دفع أطراف أخرى لأن تلعب هذا الدور، لكنها كانت دائماً تتأى عن دور مورد السلاح، لأنها كانت تخشى عواقب له يمكن أن تؤثر عليها، لقد ذكر «هيرتزوج» رئيس دولة إسرائيل في حديث أخير له أنه في بداية الخمسينات «٥٣»، ١٩٥٤، حاولت إسرائيل إرسال بعثات عسكرية للتدريب في الولايات المتحدة. ولم تقبل حكومة «أيزنهاور» وقتها. وبعد الحاح ذهبت بعثة عسكرية إسرائيلية إلى أمريكا، ولكن كل ما أتيح لها في ذلك الوقت - طبقاً لرواية «هيرتزوج» - التدريب على طوابير سيارات الجيب. ويروي «هيرتزوج» في نفس الحديث أن «موشي ديان» وهو رئيس أركان حرب الجيش الإسرائيلي وقتها ذهب بعد الحاح عنيف لزيارة الولايات المتحدة، ومع ذلك فإن أحداً من قيادة «البتاجون» لم يقابله علناً. وكان أقصى تكريم حظي به هو أن رئيس لجنة القوات المسلحة في الكونجرس حضر حفل عشاء أقيم له في السفارة الإسرائيلية في واشنطن.

وفي الفترة من ٥٦ إلى ١٩٦٧، كانت بريطانيا وفرنسا هما اللتان توردان السلاح لإسرائيل. في حين أصرت الولايات المتحدة على أن تظل بعيدة. وكان من ذلك أن معركة سنة ١٩٥٦ كانت معركة دبابه «الستريون» البريطانية كما أن حرب سنة ٦٧ كانت حرب الطائرة «الميراج» الفرنسية.

وحين ركزت السياسة العربية في ذلك الوقت على بريطانيا وفرنسا لوقف امدادات السلاح لإسرائيل ونجحت في ذلك إلى حد بعيد. فإن ألمانيا الغربية

تقدمت للقيام بجزء من هذا الدور . دور مورد السلاح لاسرائيل - وكانت الولايات المتحدة بالقطع وراء ذلك - لكنها مرة أخرى كانت حريصة على البقاء في الظل ، ونقلت السياسة العربية جهودها للضغط على ألمانيا الغربية وانقطع الامداد الألماني الغربي . . وهنا فقط اضطرت الولايات المتحدة إلى القيام بدور مورد السلاح لكنها بدأت تقوم به على استحياء . على سبيل المثال ، في سنة ١٩٦٨ بلغت المساعدات العسكرية الأمريكية لاسرائيل ٢٥ مليون دولار وفي سنة ١٩٦٩ وصلت الى ٨٥ مليون دولار . وفي سنة ١٩٧٠ انكشفت الى حدود ٣٠ مليون دولار . وبعد حرب أكتوبر حدث تطور مفاجيء وخطير . فقد وصل حجم المساعدات الأمريكية من الأسلحة لاسرائيل الى ٩٨٢ مليون دولار . وفور توقف المعارك وبدء أحاديث السلام والتوصل لفك الارتباط الأول تلقت اسرائيل منحة أسلحة بمقدار ١٥٠٠ مليون دولار لا ترد ولا تسدد .

وفي أعقاب اتفاقيات كامب ديفيد تلقت اسرائيل مساعدات عسكرية بمقدار ٢٧٠٠ مليون دولار ، منها ١٣٠٠ هبة لا ترد . وبمقتضى الاتفاق الاستراتيجي الأخير فإن المعونة الاقتصادية والعسكرية كليهما لاسرائيل أصبحت هبات لا ترد ، وفي حدود أكثر من ٢٠٠٠ مليون دولار سنوياً . بل إن المبالغ الخاصة بالمعونة الاقتصادية وهي تساوي ٨٥٠ مليون دولار أصبحت تدفع لاسرائيل نقداً بالدولارات تشتري بها كيف تشاء ممن تشاء . . وإذن فإننا نلاحظ أنه هناك تغيير كمي ملحوظ في السنوات الأخيرة ثم جاء الاتفاق الاستراتيجي الأخير فجعل من هذا التغيير الكمي تغييراً كيفياً يختلف كل الاختلاف عما سبق . وإذن فهناك جديد . أكثر من هذا فإن الولايات المتحدة لم تعد مورد السلاح الأساسي لاسرائيل فقط بل أصبحت تشجع قيام صناعة حربية اسرائيلية قوية . وعلى سبيل المثال ، فإنها بعد أن كانت قد وضعت بعض العوائق في طريق تصنيع طائرة اسرائيل الجديدة لافني ، أصبحت الآن تشجعها وهي على وشك أن تسلم إليها تصميمات الذيل والأجنحة ، إلى جانب المحرك الذي يتم تصنيعه بجهد مشترك وتشجيعها أيضاً على التصدير ، وليس على مجرد الانتاج . وربما يلخص هذا كله تصريح ورد على لسان «جورج شولتز» وزير الخارجية الأمريكية - الذي كنا نتصوره من



الحمائم ومن اصدقاء العرب في واشنطن - حين قال أخيراً وبعد إعلان تفاصيل الاتفاق الاستراتيجي في أثناء زيارته للمغرب وتونس: نعم إن بيننا وبين اسرائيل صداقة حميمة وتنسيقاً استراتيجياً كاملاً وسوف نستمر في هذا شاء العرب أم أبوا. قال هذا في عواصم عربية وقاله دون لف أو دوران. وإذن فنحن أمام حالة تختلف اختلافاً بيناً وقاطعاً عما كنا نراه في الخمسينات وفي الستينات.

ولقد كان بعضنا يقول أن الخلافات العربية مع الولايات المتحدة هي التي تدفع أمريكا إلى أحضان اسرائيل.. . ولقد ثبت الآن أن ذلك لم يكن صحيحاً. ففي وقت الخلاف العربي مع الولايات المتحدة، كانت واشنطن تحاول أن تستحي وأن تداري. وأما الآن، ومعظم العالم العربي على علاقة وفاق مع الولايات المتحدة، فإن واشنطن لم تعد تستحي ولا عادت تداري، رغم أن علاقات وثيقة تربطها بالدولة العربية الأكبر وهي مصر. كما أن علاقات حميمة بالدولة العربية الأغنى وهي السعودية. بل أن الثورة الفلسطينية نفسها وهي بؤرة الفوران الباقية من العالم العربي لم تعد تطلب أكثر من اعتراف أمريكا بها. وأمريكا لا ترضى. وإذن أعود فأكرر، هناك جديد. وهناك جديد كيفي؟ لقد أدت إليه تراكمات كمية. هذا صحيح والغريب أنه بلغ هذه الحالة في وقت كان يحق لنا أن نتصور فيه العكس وإذن فالأمر يقتضي الدراسة.

● المصور: نستأذنك هنا في سؤال نظن أنه لن يقطع عليك سياق الحديث، هناك وجهة نظر تقول أننا نستطيع أن نحول هذا الاتفاق الاستراتيجي بين أمريكا واسرائيل إلى فرصة بدل أن نتركه يتحول إلى أزمة. ذلك أن نطالب لأنفسنا بنفس الميزات التي حصلت عليها اسرائيل.

■ هيكل: في مواجهة هذا السؤال فإن السؤال الذي يطرح نفسه على الفور هو: هل هذا ممكن؟ ومن وجهة نظري وقد أكون مخطئاً فإن هذا من دروب المستحيلات لعدة أسباب:

أولها: أن أي استثمار لا يمكن أن يقاس إلا بعائده. إن القوى الكبرى حين تعطي أحداً فهي في حقيقة الأمر تستثمر سياسياً واستراتيجياً. ويقودنا هذا منطقياً إلى

سؤال آخر هو: إن إسرائيل حصلت على ما حصلت عليه لأنها تستطيع أن تقدم عائداً يوازي تكاليفه - فهل تستطيع مصر أن تؤدي ما يمكن أن تؤديه إسرائيل؟ الرد ولا أظن أن أحداً يختلف فيه هو رد بالنفي. وهو رد تملية طبيعة الأدوار، فدور إسرائيل الواضح هو تطوير الارادة العربية. إذا لم نقل قهر هذه الارادة. ودور مصر الطبيعي هو تحرير الارادة العربية وتوفير الحماية لها- وهناك فارق بين الدورين. وإذا شئنا مثلاً واضحاً فإن دبابات الجنرال «شارون» التي وصلت إلى داخل بيروت كانت هي أكثر من أي عامل آخر هي التي دفعت بمعظم العرب إلى الوقوف أمام أبواب البيت الأبيض رجاء أن تضغط الولايات المتحدة على إسرائيل لكي تسحب من لبنان. بل أن أكثر الدول العربية نفوذاً في الولايات المتحدة وهي السعودية لم تستطع بكل ما تملكه من أسباب ووسائل القوة ازاء أمريكا إلا أن ترتب خروج الثورة الفلسطينية من لبنان وليس خروج إسرائيل من لبنان.

والحقيقة أن كل الدول العربية المعتدلة شعرت في ذلك الوقت أنه ليس هناك ما يحول دون هيمنة امبراطورية اسرائيلية على المنطقة، إلا مساحة ما يمكن أن تبذله واشنطن من ضغط على تل أبيب. هكذا فإن ما تستطيع أن تؤديه إسرائيل هو شيء لا تستطيع أي دولة عربية أبداً كانت أن تؤديه للولايات المتحدة ومن هنا فإننا نستطيع أن نرى أن الولايات المتحدة تستثمر في إسرائيل وتستثمر وهي تطلب عائداً تحلده مقدماً. وتعرف أن إسرائيل بما تعطيه لها قادرة عليه - ليس فقط مادياً - ولكن معنوياً أيضاً، لأنها في هذه المنطقة بلا روابط تاريخ وبلا علاقات انسانية من أي نوع وبالتالي فهي تستطيع أن تتصرف بدون روادع وبدون هواجس وحتى بدون مراجعة ضمير، وهو ما لا تملكه - حتى إذا أرادت - أي سلطة عربية.

هناك مقولة أخرى تردت خارج العالم العربي وسمعت في الولايات المتحدة بالذات. وكانت تقول لبعض العاتبين العرب: ما لكم وهذا الاتفاق. هو موجه ضد سوريا ومجرد توقيت اعلانه واضح كاف لاثبات ذلك. فماذا فعلت لكم سوريا - لقد عطلت مسيرة السلام في المنطقة، وعطلت الاتفاق في لبنان. ودخلت في حلف مع الاتحاد السوفيتي. ومن حسن الحظ أن الذين سمعوا هذا الكلام من واشنطن رفضوه على الفور، لأن الأمر بدا لهم من كل نواحيه قضية أخطر وأكبر، تكاد أن

تكون قضية السيطرة على العالم العربي كله وما وراءه من المحيط الاطلنطي وحتى المحيط الهندي . وهي منطقة قال عنها الجنرال «شارون» في ورقة الاستراتيجية الاسرائيلية التي عرضها علناً في مؤتمر عقد في مركز سكواح لأبحاث الأمن الاسرائيلي : بأنها نطاق العمل الاسرائيلي السياسي والعسكري .

إنني آسف أنني أطلت عليكم بهذا كله لكنني أردت بهذه الجولة الواسعة أن أضع هذا الاتفاق الأمريكي الاستراتيجي في موقعه على خريطة الأحداث الجارية في المنطقة . وأن أحده بحيث لا تتداخل أطرافه مع أشياء أخرى تؤدي إلى إحاطته بضباب من الظنون والمقولات .

إن هناك جديداً في هذا الاتفاق وهو جديد وخطير .

● المصور: إذا كان الاتفاق في مغزاه يحمل شيئاً جديداً أوسع بكثير من هذه العلاقات الخاصة بين اسرائيل والولايات المتحدة في صورتها المألوفة، فلماذا كان الآن، ما مغزى التوقيت؟

■ هيكل: الغريب بالفعل أن الولايات المتحدة تقدم على هذا الاتفاق في الوقت الذي قبلها فيه العالم العربي . ليس فقط كطرف مشارك في عملية صنع السلام كما يسمونها بل كقوة تحاول أن تقوم بدور المهندس لمستقبل المنطقة . . بل أكثر من ذلك إن هذا يحدث في الوقت الذي يبدي فيه العالم العربي استعداداً أوسع لاقامة علاقات سلام مع اسرائيل أي أن أمريكا تقدر أن تنحاز لاسرائيل بالكامل في الوقت الذي يتسع فيه القبول العربي بالدور الأمريكي كل يوم في العالم العربي .

● المصور: يظل السؤال قائماً لماذا سعت ادارة «ريجان» في هذا الوقت بالذات إلى إحياء الاتفاق الذي كان قد صمم خطوطه الأساسية «شارون» و «الكسندر هيج» .

■ هيكل: ليس صحيحاً أن «هيج» هو اول من اقترح اتفاقاً استراتيجياً بين الولايات المتحدة واسرائيل .

ان «برجينسكي» مستشار الأمن القومي للرئيس كارتر يتكلم في مذكراته الأخيرة

التي صدرت بعنوان «المبدأ والقوة» عن أفكار مماثلة كانت تناقش في أثناء إدارة كارتر. وأذن فالفكرة قديمة في الادارة الأمريكية. بل لعلها موروثه منذ أيام ادارة «نيكسون» فالإشارات صريحة حولها في مذكرات كيسنجر خصوصاً الجزء الذي صدر بعنوان: «سنوات القلاقل». وصحيح أن شارون والكسندر هيج كانا قد وضعا اتفاقاً مكتوباً من تسعة بنود. ثم صرفت الادارة الأمريكية النظر عنه بعد غزو لبنان. لكن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي عادت تطلبه الآن، وكان الرئيس الأمريكي رونالد ريجان هو الذي أرسل مبعوثه «ايجلبرجر» لصياغة هذا الاتفاق في نصه النهائي ووضعه للتطبيق العملي. وهو على هذا النحو يشير إلى عملية أكبر من مجرد ما يجري في لبنان أو ما يجري مع سوريا. وإنما هي عملية توحى كل تفاصيلها بأنها محاولة لترتيب أوضاع المنطقة الآن ومستقبلاً.

● المصور: حتى الآن. يبقى السؤال بدون إجابة. لماذا يمرر الأمريكيون مشروعهم القديم في المنطقة؟

■ هيكل: إذا أردت رداً صريحاً ومباشراً فياني أعتقد أن الولايات المتحدة تتصور أو ترى أن الموقف في المنطقة الآن أصبح ناضجاً أو شبه ناضج لشيء كانت تريده دواماً، وواتتها الفرصة له الآن.

المأساة أننا كعرب بدون ذاكرة. لأننا لا نتقصى تجاربنا السابقة. كل منا يبدأ وكأنه يريد أن يبدأ تجاربه من الصفر والذين لا يستفيدون من دروس التاريخ محكوم عليهم بأن يعيشوه مرة أخرى.

وفيما أعتقد فإن أحداً لم يتوفر بعد على دراسة تجربتنا مع الولايات المتحدة منذ بداية تجربة ثورة يوليو ١٩٥٢ وحتى الآن. لقد بدا عبد الناصر راغباً وبشدة في علاقات صداقة مع الولايات المتحدة. ووصل في النهاية إلى طريق مسدود، لم يحاول أحد أن يدرس لماذا حدث ذلك؟ - لم يحاول أحد أن يدرس لماذا وقد ذهب الرئيس السادات في علاقاته مع الولايات المتحدة إلى هذا الشوط الواسع تقابلنا نتائج تبدو وكأنها مفاجئة لنا ونبدو وكأننا مفاجأون بها.

● المصور: استاذ هيكل. لا نكتمك دهشتنا من هذا المنطق. فلعلك كنت

أحد الذين رفعوا شعار تحييد أمريكا. . . مدافعاً عن ضرورة دورها في أزمة الشرق الأوسط . ونعتقد أن ذلك قد حدث بينما كانت العلاقات المصرية السوفيتية في أوجها .

■ هيكل : كنت أتوقع هذا السؤال . وفي الواقع فإنه يجب أن يطرح إذا ما أردنا دراسة مراحل العلاقة مع أمريكا والخروج بدروسها المستفادة لقد كنت أقول ولا أزال بتحييد الولايات المتحدة وليس بالصدام مع الولايات المتحدة . وتحييد طرف من الأطراف في صراع دولي معناه أنك تستعمل كل وسائل القوة المتاحة لك في أن تحلد إمكانية إضراره بأمنك ومصالحك . إن تحييد أمريكا لم يكن يتأتى بما فعلناه من سنة ١٩٧٣ وحتى الآن . وإنما كان تحييد أمريكا يمكن أن يتحقق بأن تكون إمكانياتنا كلها موجهة إلى تقليص مساحة التنسيق بينها وبين إسرائيل . الغريب أن هذا كان يجري على نحو أو آخر في مرحلة ما قبل حرب ٦٧ . فقد كانت لنا في تلك الفترة علاقات متوازنة مع القوتين الأعظم . والدليل على ذلك أن الاتحاد السوفيتي ساعدنا في تلك الفترة على بناء السد العالي . وقدم لنا من السلاح ما حاربنا به كل معاركنا حتى معركة أكتوبر . وفي نفس الوقت كانت الولايات المتحدة حتى بداية ١٩٦٧ هي مورد القمح الرئيسي لمصر ولم تكن بعد قد تجاسرت على أن تصبح مورد السلاح لإسرائيل . صحيح أن ظروف حرب ١٩٦٧ أحدثت شيئاً من الخلل في توازن العلاقات بيننا وبين القوتين الأعظم وبعض هذا كان منطقياً . فقد كان هناك طرف يساعدنا على استمرار تحرير أراضنا ، وتحرير أرضنا . وطرف آخر يتواطأ مع إسرائيل ، ومع ذلك فقد قلت وفي تلك الظروف بتحييد أمريكا عن اقتناع بأنه لا يمكن تسوية أي مشكلة من مشاكل السلام والحرب في العالم فضلاً عن منطقة الشرق الأوسط بوضعها الحساس بين القوتين الأعظم ، بدون اشتراك القوتين معاً وضمنان اهتمام الأثنين في نفس الوقت .

أريد أن أعود إلى نقطة كنت أتحدث فيها قبل قليل . نقطة أننا لا نستفيد من تجاربنا السابقة . أخشى أن أقول أنه يبدو لي أننا حتى إذا أردنا أن نستفيد من هذه التجارب ، فإن الذي يتحتم عليهم أن يقوموا بهذه المحاولة سوف يجدون أنفسهم أمام صعوبات ضخمة ، لعل أولها ضياع الجزء الأكبر من أوراقنا وسجلاتنا . إنني لا أعرف مثلاً أين هو أرشيف القصر الملكي

في مصر. إن مصر حاولت في عصر فاروق والوفد أن تقيم علاقات صداقة مع الولايات المتحدة يمكن الضغط بها على بريطانيا من أجل إتمام الجلاء. أين وثائق هذا كله؟ هناك أيضاً محاولات جمال عبد الناصر في هذا الصدد. أين هو سجل هذه المحاولات التي وصلت - كما قلت من قبل - إلى طريق مسدود. هل يمكن أن يصدق أحد أنه لا توجد في أرشيف الدولة المصرية ورقة واحدة عن مباحثات فك الارتباط الأول. أو فك الارتباط الثاني أو كامب ديفيد، توجد من هذا كله مذكرات صماء كتبها مجموعات عمل من الخارجية على سبيل المثال. لكن هذه المذكرات الصماء لم يكن لها من أثر على النتيجة التي أسفرت عنها هذه العمليات. كل النتائج تم التوصل إليها من خلال المناقشات. وليست لهذه المناقشات محاضر وإنما تم الاحتفاظ بما دار خلالها في رؤوس أصحابها. وذهب ما في الرؤوس إلى النسيان وإلى القبور في بعض الأحيان. فالخلاصة نحن لا ندرس تجاربنا. ونحن لا نتعلم منها شيئاً. وكل محاولة جديدة عليها أن تبدأ من فراغ وكأننا أمة بلا ذاكرة.

● المصور: أنت تعتقد إذن أن الاتفاق الاستراتيجي الاسرائيلي الأمريكي قد تم تصميمه لأهداف أوسع من الخلاف السوري ومن قضية لبنان.

■ هيكل: هذا بالضبط ما أعتقد، فالاتفاق بهذا المعنى يتعلق بما يجري حولنا في العالم وما يجري حولنا في العالم ينبغي أن يكون موضع دراستنا، لا بد أن يكون لدينا توصيف شامل وواضح له. لأنه - شئنا أم لم نشأ - يحكم حركتنا. كما أنه عنصر أساسي في هذا الاتفاق الاستراتيجي بين أمريكا واسرائيل.

ما هو الوضع العالمي الذي نواجهه الآن. والذي نواجهه في إطاره كل مشاكلنا وهمومنا الراهنة؟

العالم الآن محكوم بخطر أسّي يفصل بين نظامين عالميين مختلفين. قوتين عملاقتين. . . وعقيدتين متناقضتين. الخط الفاصل بينهما شيء لم يسبق له مثيل في التاريخ. والسبب هو استحالة الحرب بين الأثنين. فالأسلحة التي تملكها كل منهما لم تعد - لأول مرة في التاريخ - قابلة للاستعمال. أصبحت لهذه القوة القدرة على الدمار الشامل على نحو يفوق كل خيال. في نفس الوقت فإن هذا الخط

الرأسي الحاد والفاصل والذي تستحيل فيه الحرب يتقاطع معه خط أفقي . تعيش فيه شعوب تواجه تفاعلات اقتصادية واجتماعية انسانية وفكرية لا يمكن تجميدها . ويمكن لحركة هذه التفاعلات أن تمس بشكل أو آخر الخط الرأسي الجامد للمواجهة النووية بين العملاقين . هكذا نجد أمامنا خطين متقاطعين . خطرأسي لا بد من تجميده باستحالة الحرب . ثم صراعات لا يمكن تجميدها بضرورات التاريخ وقد تتداخل الخطوط . . وهنا يحل الخطر . خصوصاً إذا اقتربت التفاعلات الاقتصادية الانسانية الاجتماعية الفكرية من خطوط التماس النووي التي لا تستطيع أن تتحمل أي هزة .

علينا أن نسأل أنفسنا : ما الذي يحدث وراء هذه الخطوط ؟ الخط الاستراتيجي الذي تستحيل معه الحرب . والخط الاجتماعي الذي يصعب معه الاستقرار أو الجمود . إن الوضع الخطير الناشئ عن هذين الخطين والعلاقة الدقيقة والحساسة بينهما يحدث أثره داخل الكتلتين . من هنا مثلاً نستطيع أن نرى موقف الاتحاد السوفيتي من التملل البادي في الكتلة الشرقية وبولندا . مثال لذلك - قبل بولندا كانت هناك تشيكوسلوفاكيا . وقبل تشيكوسلوفاكيا كانت هناك المجر . في هذه الواقعة اضطر الاتحاد السوفيتي إلى التدخل بالقوة المسلحة لكي يصد تغيرات اجتماعية واقتصادية وإنسانية وفكرية كان يمكن لها أن تؤثر على خط الانقسام الاستراتيجي النووي لو أنها تركت وشأنها . وفي المقابل فإن الولايات المتحدة بدأت تقيم وراء ناحيتها من هذا الخط الاستراتيجي النووي تنظيمات كاملة في كل منطقة من المناطق التي يهتما أمرها . إن التدخل العسكري الأمريكي المباشر لمنع أي حركة تؤثر في الموازين اقتصر في الغالب على نصف الكرة الغربي . بالذات أمريكا اللاتينية : وأما خارج هذا الخط فقد كان التدخل الأمريكي إدراكاً منه لخطورة العمل العسكري المباشر يلجأ إلى ترتيبات أخرى . نستطيع أن نقول بنظرة على خريطة الواقعة العالمي الآن أن الولايات المتحدة تقيم وراء ناحيتها من الخط الاستراتيجي - وحيث الأمور لا تحتمل التدخل العسكري المباشر - نظماً معقدة . وإن كان من الممكن بنظرة فاحصة استكشاف ملامحها . وفي الواقع فأننا نجد سياسة تؤدي ببعض المناطق إلى

الاعتماد المالى والاقتصادى على الولايات المتحدة . ثم تودى إلى الاعتماد الأمنى على الولايات المتحدة ثم أننا نجد محاولات واضحة للتأثير فى التركيب الطبقي من واقع هذه المناطق . من الغرب فى هذا الصدد - على سبيل المثال - أن بعض موارد المعونة الأمريكية إلى البلاد التى تحصل عليها تخصص لزيادة قوة القطاع الخاص . وأحياناً بطريقة فجأة . هناك اعتمادات هائلة لبعض المستوردين بالسعر الرسمى للدولار .. يستوردون بها بضائع أمريكية يبيعونها فى الأسواق المحلية بالسعر الذى يريدونه . وتنتج عن ذلك ثروات خرافية تزيد من خلل التركيب الاجتماعى فى هذه البلدان . إننى بالطبع لا أمانع فى نشاط القطاع الخاص ولكن هذا النشاط يجب أن يرتبط بعمله وليس بهدايا تقدمها له جهات أجنبية . إلى جانب هذا - الاعتماد المالى والاقتصادى والاعتماد الأمنى والتأثير فى التركيب الطبقي .. يوجد أيضاً نظام إعلامى كامل يستهدف تغيير مجموعة القيم السائدة أو التى يمكن أن تسود فى أى مجتمع من هذه المجتمعات . على قمة هذا النظام كله تقف قوة محلية توكل إليها مهمة رجل البوليس فى المنطقة التى توجد فيها يكون عليها أن تكون قوة القمع النهائية لضبط كل التفاعلات التى يمكن أن تنشأ من حولها . لقد أوكل دور رجل البوليس فى المنطقة إلى ايران الشاه فى وقت من الأوقات . ثم وقعت محاولة لجر مصر إلى أداء هذا الدور وحين أعلن الرئيس مبارك فى بداية رئاسته أن الجيش المصرى لن يرفع السلاح ضد بلد عربى فقد كان من حسن الحظ إعلاناً واضحاً بأن مصر لن تقبل بهذا الدور ولم يكن هذا ممكناً عملياً أو تاريخياً .

وفي النهاية - كما كان مطلوباً منذ البداية . جرى تنصيب اسرائيل رسمياً كرجل بوليس فى المنطقة . هذا هو جوهر الاتفاق الاستراتيجى وموقعه على الخريطة .

وفي النهاية - قررت ادارة ريجان - كما كان مطلوباً منذ البداية تنصيب اسرائيل رسمياً كرجل بوليس فى المنطقة .

هذا هو جوهر الاتفاق الاستراتيجى وموقعه على الخريطة . تغيير كىفى فى العلاقات وتقنين علنى لها فى وضعها الجديد .



● المصور: أنه يبدو لنا غريباً أن تسمى الولايات المتحدة مرة أخرى إلى محاولة إحياء دور الهيمنة الاسرائيلية الذي انتهى في وحل لبنان قبل أن يبدأ. أستاذ هيكل، لقد تنبأت بعصر من الهيمنة الاسرائيلية ولكن ما حدث في لبنان، كان شيئاً مختلفاً لأن اسرائيل تصرفت بأوسع من قدراتها الحقيقية كما أن مظاهر الصلف الاسرائيلي لم تستطع أن تستر نواحي القصور في الكيان الاسرائيلي، الأزمة الاقتصادية في الكيان الاسرائيلي، الأزمة الاقتصادية المخيفة، وانقسام البيت من الداخل، والخسائر المتزايدة في الحرب ورغبة الاسرائيليين الجارفة الآن في الانسحاب من لبنان.

■ هيكل: لقد حاولت اسرائيل بالفعل في مرحلة من المراحل أن تقوم بدور ضابط التفاعلات في المنطقة لحسابها وفي بعض اللحظات راودها حلم امبراطوري محلي. ثم اكتشفت بعد التورط في بحر الكثافة العربية السكانية في لبنان، أن الدور يفرض عليها أكثر مما تطيق. ربما كانت تطمع في بعض اللحظات إلى أن تكون طرفاً قادراً على الاستقلال. حتى تجاه الولايات المتحدة. لكن حقائق الأمور فرضت نفسها عليها.

إن أي دور يقوم به أي طرف من الأطراف لا ينشأ لمجرد رغبة هذا الطرف في أدائه يتحدد الدور بكمية الإمكانات المتاحة ورائه. ولقد ظهر حالياً أن اسرائيل لا تملك إمكانات دور امبراطوري محلي حاولت أن تقوم به. وعندما وصل ايجلبيرجر مبعوث ريجان الى اسرائيل ليعيد عرض الاتفاق مرة أخرى. كانت اسرائيل أكثر من مستعدة لدور «رجل البوليس». كانت السياسة الأمريكية قد أعدت التركيب المهيء لهذا الدور. حاولت أن تقيم في المنطقة نظامها. الاعتماد الاقتصادي عليها. الاعتماد الأمني عليها.

ولم يكن باقياً إلا ضابط الأمن النهائي ولم يكن هناك تخرج. ولا كان هناك تردد لأن العرب مع الأسف كانوا قد أدخلوا هم أنفسهم بموازين القوى في المنطقة ومهدوا نصف الطريق أمام الولايات المتحدة. لكي تفرض ما تشاء - على سبيل المثال - خرج معظم السلاح السوفيتي من المنطقة.

وكانت النتيجة خلاً في التوازن وبالنسبة لموازين القوى في منطقة العالم

العربي. أتاحت للولايات المتحدة أقصى ما كانت تريد وأصبحت المنطقة على مستوى القمة الدولية أرضاً مفتوحة لطرف واحد. يرتب أو يحاول ترتيب أوضاعها على النحو الذي يلائمه وقد قلت إن خروج الاتحاد السوفيتي أمر صعب لأن المسألة بالنسبة لأي واحدة من القوتين الأعظم ليست بهذه البساطة.

لأننا لا نستطيع بأي مناورات سياسية نستطيع أن نقوم بها. أن نغير حقائق الجغرافيا. ومن حقائق الجغرافيا التي لا يمكن الدوران من حولها. أن الاتحاد السوفيتي قابع على حدود المنطقة الشمالية. ولا يمكن خلعها منها. كما أن أية مناورات سياسية لا تستطيع أن تلغي حقائق القوة وحقائق التكنولوجيا. وبسببها فإن الاتحاد السوفيتي موجود ليس فقط على حدود المنطقة بقوته الضخمة ولكنه موجود في فضاءها بأقماره الصناعية. وبصواريخه التي يمكن أن تصل إلى أي بقعة فيها. ولقد يقبل الاتحاد السوفيتي بالفعل ومضطراً أن ينسحب تكتيكياً من المنطقة. ولكنه استراتيجياً موجود بالقرب منها مستعد لعودة استراتيجية إذا واثته فرصة لذلك.

والحقيقة أن بعض ما حدث مثير. في مفارقاته. في الأربعينات كان الغرب في قلب المنطقة والاتحاد السوفيتي بعيد عنها. وفي منتصف الخمسينات أصبح الاتحاد السوفيتي في قلب المنطقة ودفعت الولايات المتحدة إلى أطرافها وفي أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات دفع الاتحاد السوفيتي إلى الأطراف فعادت الولايات المتحدة إلى القلب. وتلك كلها تقلصات تنقل المبادرة من يد أصحاب المنطقة إلى يد غيرهم. وتجعلهم أدوات في ألعاب أكثر منهم بدلاً من أن يكونوا هم أنفسهم - عن طريق تحقيق توازن استراتيجي في المنطقة - أصحاب الرأي الأخير فيما يجري فيها.

وقد تحقق هذا مع الأسف وأصبح العرب أطرافاً في تناقضات مسلحة ما أنزل الله بها من سلطان. فنحن نبدو مشغولين أحياناً بالخطر السوفيتي. وأحياناً بالخطر الكوبي وكلها مخاطر لا أعرف شخصياً مدى جديتها ولا أظن أن غيري يعرف.

وهذا ما حدث وانتهى وتم تنصيب اسرائيل جهاراً نهاراً كضابط لايقاع التفاعلات في المنطقة. وحارس لضمان سيرها باستمرار رضيت أو كرهت في

الطريق المرسوم لها. هذا هو معنى تصريحات «شولتز» في الرباط وتونس والتي قال فيها: نعم إن بيننا وبين إسرائيل صداقة صميمة وتنسيقاً استراتيجياً كاملاً وسوف نستمر في هذا شاء العرب أم أبوا.

● المصور: لماذا تلجأ الولايات المتحدة إلى استفزاز نظم معتدلة كانت تعول عليها كثيراً في إمكان تحقيق السلام الشامل والاستقرار للمنطقة؟

■ هيكل: من وجهة نظرها ليس استفزازاً. عندما تستطيع قوة من القوى. أن تفرض الأمر الواقع الذي تريده وتفرضه فعلاً. فإنها بذلك تتصرف بمنطق الأشياء ولا تعتبر ما تفرضه استفزازاً متعمداً. الغريب أن هذا كله، ليس ضد الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة أول من يعرفه. الولايات المتحدة أول من يعرف أن الاتحاد السوفييتي لن يهاجم المنطقة بالسلاح. والاتحاد السوفييتي لديه من القدرة والذكاء والمعلومات ما يمنعه من مهاجمة المنطقة بالسلاح. لأن هذا يمكن أن يقود الى حرب نووية. لا تجدي فيها حكايات قوات الانتشار السريع التي كثر الحديث عنها في وقت من الأوقات.

● المصور: نعتقد أيضاً أن المنطقة كلها من فترة سابقة. كانت تعيش درجة أخرى من الاعتمادية على الاتحاد السوفييتي وعلى تواجد نفس العناصر.

■ هيكل: ربما تأذنون لي أن أختلف اختلافاً قاطعاً في حكاية الاعتمادية على الاتحاد السوفييتي. نحن لا نستطيع أن نقارن نوع علاقاتنا «الذي كان» مع الاتحاد السوفييتي مع نوع علاقاتنا «الذي أصبح الآن مع الولايات المتحدة». وأنا حين أستعمل تعبير علاقاتنا لا أقصد مصر وحدها. بل العالم العربي كله. في فترة علاقاتنا مع الاتحاد السوفييتي كانت هناك حدود. وكانت هذه الحدود نوعاً من التوازن. على سبيل المثال: كان العالم العربي. يملك نوعاً من التنوع والتعدد في علاقاته مع القوتين الأعظم وإذا أخذنا اثنين من الدول المفتيح وهما مصر والسعودية. فإن مصر كانت لها علاقات مع الاتحاد السوفييتي. في حين أن السعودية كانت لها علاقتها الخاصة مع الولايات المتحدة. كانت مصر تشتري السلاح من الاتحاد السوفييتي. وكانت السعودية وغيرها. تشتري السلاح من

الولايات المتحدة. كان هناك توازن. وكان هذا التوازن يعطي للعرب بصفة عامة مساحة أوسع للحركة والمناورة. وحين كانت مصر تشتري السلاح من الاتحاد السوفييتي، فانها لم تعتمد عليه قطفي القمح وفي أبان اشتداد خلافاتنا مع الولايات المتحدة ظللنا نشترى القمح منها. ولقد استمرت تقوم بدور مورد القمح لمصر حتى سنة ١٩٦٦. أي سنة واحدة. قبل سنة ١٩٦٧ أزعجنا أن نوعية علاقانا مع الاتحاد السوفييتي لم تكن هي نوعية علاقانا مع أمريكا. كنا نحصل منه على سلاح. ندافع به عن أنفسنا. وكنا نعقد معه اتفاقيات للتصنيع أو لبناء السدود تساعد في تطور الحياة على أرضنا. وكان الاتحاد السوفييتي لأسباب متعلقة به. مبعثها أحساسه بأن الفرصة أتاحت له أخيراً. لدخول منطقة كانت تعتبر بالدرجة الأولى منطقة نفوذ غربي يعطي بسخاء. ويتصرف بحذر. في لحظة من اللحظات اتخذ صانع القرار المصري قراراً بطرد الخبراء السوفييت من مصر. وخرجوا وأعطاهم عشرة أيام لتنفيذ الخروج. وخرجوا بالفعل في أسبوع واحد.

وحتى في الوقت الذي كان الاتحاد السوفييتي يقوم فيه بدور مورد السلاح لمصر. فإن مصر نفسها كانت تسعى إلى تقليل الاعتماد في السلاح على الاتحاد السوفييتي. أتذكر أنني بنفسني حملت رسالة مكتوبة، أيام أن كنت وزيراً للإرشاد القومي، من الرئيس جمال عبد الناصر إلى معمر القذافي يطلب منه فيها ألا يشتري أسلحة سوفييتية. كنا وقتها في حاجة إلى قاذفة مقاتلة. وكان طلب جمال عبد الناصر كما حدده في رسالته المكتوبة إلى معمر القذافي. أن يحاول شراء الفانتوم الأمريكية إن استطاع. فإذا لم يستطع فليحاول شراء الميراج الفرنسية. وبالفعل فإن ليبيا اشترت الميراج الفرنسية.

● المصور: ما زلنا نذكر مانثيت الأهرام: اسطول القمح السوفييتي يتحول إلى ميناء الاسكندرية.

● هيكل: إن الاتحاد السوفييتي دولة مستوردة للقمح. ولم تكن نستطيع أن نعتمد عليها في الغذاء. نذكر أنه من سنة ١٩٥٨ حتى ١٩٦٦. كانت الولايات المتحدة هي مورد القمح الرئيسي لمصر. وفي سنة ١٩٦٦ وعندما ازدادت هذه المشاكل

بيننا وبين الولايات المتحدة. وبدأوا في ممارسة الضغط في وقت لم يكن فيه احتياطي للقمح في البلد يكفي أكثر من ١٨ يوماً. طبقاً لتقرير وزير التموين وقتها. طلبنا فعلاً من الاتحاد السوفييتي شحنة قمح. وتم اتصال بالاتحاد السوفييتي. وقتها كانوا يشترون قمحاً من استراليا. واستجابة لرغبة مصر وإمعاناً في إظهار حسن النية وربما إظهاراً لسوء نية الولايات المتحدة. قرروا تحويل بعض بواخر القمح القادمة من استراليا إلى مصر. لكننا لم نأخذ أكثر من مائة ألف طن وقتها لمواجهة موقف طارئ وبالتالي. لم يكن هناك اعتماد. أما الآن والسلاح من أمريكا. والقمح من أمريكا. فإن الاعتماد على الولايات المتحدة يبقى في ظني أكثر مما هو ضروري لضمان حد الأمان.

● المصور: تحليلكم على أن الهدف من الاتفاق الاستراتيجي هو أن إسرائيل هي التي يمكن أن تضبط إيقاع المنطقة في المرحلة القادمة. وهذا يطرح نفسه للتساؤل: أولاً: هل هذا ممكن؟

ثانياً: نتيجة هذا بالنسبة للوضع العربي الذي نعرفه كأنها تسارع بعملية التغيير داخل هذا العالم العربي. وبالتالي تكون حاسبة أمريكية خاطئة مائة في المائة.

■ هيكل: بالنسبة للشطر الأول من السؤال. أعتقد ولأسباب متعددة أن هذا غير ممكن. أي أن البوليس في المنطقة لفترة محددة. وبالنسبة للشطر الثاني من السؤال. فإن الحاسبة الأمريكية بالفعل حاسبة خاطئة. وليست هذه أول حاسبة خاطئة تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية أو يقم بها الاتحاد السوفييتي في هذا العالم الراهن الحافل بمتغيرات يتعين علينا أن نمعن النظر فيها. الواقع أننا أمام فترة من القلق وعدم اليقين سببها متغيرات هائلة على مستوى العالم كله.

إذا سمحتم لي أن أعد هنا بعض هذه المتغيرات. فإنني أطرح ما يلي:

١ - هناك لأول مرة تركيز شديد للقوة على القمة في العالم. مركزان اثنان للقوة وإمكانات هائلة تحت تصرف مركزين اثنين فقط لأول مرة في التاريخ.

٢ - لأول مرة في التاريخ أيضاً سلاح لا يعرف أحد كيف يستعمله ولا يعرف أحد كيف يديره وهو السلاح النووي. إن قضية السلاح النووي تطرح واقعاً لم يسبق للبشرية أن تجربته من قبل. ولا يستطيع بل ولا يتصور أحد إمكانية استخدامه. وإنما نرى ظاهرة تتناقض تناقضاً كاملاً. مع استحالة استخدام هذا السلاح. وهي التسابق الجنوني على إنتاجه. فإن ذلك مبعثه عاملان أولهما: أن كل طرف خائف من أن يتمكن الطرف الآخر من أن يقوم باختراق يتوصل فيه إلى اختراع جديد يتمكن به من توجيه ضربة أولى قاتلة. والثاني: أن الولايات المتحدة تجر الاتحاد السوفييتي لهذا السباق الجنوني في السلاح بقصد مقصود فهي تعرف أنها مادياً أغنى منه، وبالتالي فهي أقدر منه على الإنفاق على السلاح. وحين تجره جراً إلى هذا السباق فإنها تستنفد موارده. وتفرض عليه موقفاً يعيد فيه ترتيب أولوياته. يعطي الأولوية للسلاح. على حساب رفاهية شعوبه. التي تتشوق إلى مستوى أحسن من الحياة. وبالتالي فإنها عن هذا الطريق تستطيع أن تضرب التجربة السوفييتية من داخلها.

٣ - هناك أيضاً ضمن المتغيرات، عملية انتقال السلطة في البلدين. في أمريكا السلطة تنتقل من المؤسسة الشرقية التي احتكرت الحكم في الولايات المتحدة منذ نشأتها وحتى ما بعد الحرب العالمية الثانية، وهي مؤسسة نضجت في فهمها لحقائق السياسة الخارجية. هذه المؤسسة هي التي أبرزت رئاسة «ويلسون» أثناء الحرب العالمية الثانية. السلطة تنتقل الآن في أمريكا إلى المؤسسة الغربية. مؤسسة جديدة أقامت نفوذها على صناعات الفضاء وصناعات الحرب وهي مؤسسة قوية لكنها قليلة الخبرة بأحوال العالم. إن هذه المؤسسة هي التي أبرزت وأفرزت رئاسة «جونسون» - من الجنوب - ورئاسة «نيكسون» - من كاليفورنيا في الغرب - ورئاسة «كارتر» - من الجنوب - ورئاسة «ريجان» - من كاليفورنيا - مرة ثانية.

في نفس الوقت الاتحاد السوفييتي أيضاً يعاني مشكلة انتقال. فإن جيل القيادات الذي حضر الثورة. وحضر الحرب العالمية الثانية يخبو دوره بحكم السنين. وهناك جيل جديد يظهر لكن الصراع بين الجيلين. بقايا جيل قديم وطلائع جيل جديد يخلق ارتباكاً على القمة في الاتحاد السوفييتي.

٤ - نتيجة هذا وغيره . فإننا نرى الآن سيادة واضحة لسلطات من خارج الشرعية الدستورية في كل من الاتحاد السوفيتي وأمريكا في الولايات المتحدة يتزايد دور الشركات متعددة الجنسيات والشركات الدولية إلى جانب تزايد دور التجمع الصناعي العسكري . الذي أشار إليه أيزنهاور في خطاب الوداع الذي أنهى به مدة رئاسته سنة ١٩٦٠ . وفي الاتحاد السوفيتي شيء مماثل .

يتزايد دور بيروقراطيات الحزب ويتزايد دور مارشالات وجنرالات الاتحاد السوفيتي .

٥ - هناك متغير آخر صنعته الثورة التكنولوجية وهو: السياسة عن طريق التأثير «بالصور» . إن السياسة الأمريكية الآن تصنعها عدسات التلفزيون . أكثر مما تصنعها مجالس الكونجرس والأمن القومي والخارجية إلى آخره .

إن حرب فيتنام كانت نقطة تحول فاصلة في سيطرة التلفزيون على صنع القرار السياسي فلقد استطاع كل مشاهد أمريكي في بيته أن يعيش تجربة الحرب بنفسه . قبل التلفزيون . وفي الحرب العالمية الأولى والثانية . رغم الخسائر الأمريكية الفادحة في الحربين . فإن الرأي العام الأمريكي لم يكن يرى من هذه الحرب إلا صور البطولة والشجاعة التي تكتب له . وأما في حرب فيتنام فإن الرأي العام الأمريكي لم يعد في حاجة إلى الكلمة المكتوبة . لأن الصورة الحية . أصبحت تنقل له كل شيء . إن ذلك - سواء في حرب فيتنام أو غيرها - صنع ضغطاً هائلة على صانع القرار الأمريكي فرض عليه ما لم يكن يريد به باختياره ، إن التلفزيون هو الذي أرغم الولايات المتحدة على الانسحاب من فيتنام . إن التلفزيون هو الذي جاء إلى مقاعد الرئاسة في الولايات المتحدة برؤساء لم يكن لديهم أكثر من الانطباع الذي يمكن أن يتركوه لدى المشاهدين لشاشات التلفزيون . هكذا رأينا رجلاً مجهولاً تماماً مثل كارتر يصبح رئيساً للولايات المتحدة دون سابق خبرة تؤهله بل ودون سابق عمل سياسي يؤهله لهذا المكان . لقد نجح في اقناع الشعب الأمريكي على شاشات التلفزيون أنه يستطيع أن يعطي أمريكا رئاسة طيبة ونظيفة . تختلف عن رئاسة نيكسون الشريرة . والغارقة حتى أذنيها في فضائح ووترغيت ، أكثر من هذا رأينا ممثلاً كان يقوم بالعمل الفعلي في السينما قبل عشرين سنة .

يصبح رئيساً للولايات المتحدة. لأنه استطاع أن يبدو على شاشات التليفزيون رئيساً قادراً أمام الشعب الأمريكي. إن سياسة التأثير بالصور في هذا العصر أحدثت انقلاباً في مراكز القوى السياسية ليست له حدود.

٦ - إن هذه التطورات أنشأت قوى شعبية عارمة من خارج المؤسسات السياسية التقليدية أي الأحزاب وهكذا رأينا حركات قوية تمثل قوة ضغط هائل دون أن تكون لها جذور في العمل السياسي واصله إلى الأعماق. ومن نماذج هذا على سبيل المثال. حركة الشباب في أمريكا. وقد لعبت دوراً رئيسياً في وقف حرب فيتنام. ثم رأينا أيضاً في أوروبا حركة السلام التي تعادي نصب الصواريخ الذرية في أوروبا. والتي كان من أثرها - على سبيل المثال - أن ألمانيا الغربية تواجه شبه انقسام داخلي فيها بسبب نشاط ما يسمونه حركة الخضر.

٧ - نتيجة لسياسة التأثير بالصور فإن تناقضاً غريباً ظهر في أمريكا. إن البلد الذي يعتمد أكثر من غيره على سياسة القوة. أصبح متردداً في استعمالها بنفسه وهو الآن يريد أن يبحث عن طرف آخر يقوم له بما يريد. إن الولايات المتحدة اهتزت من أقصاها إلى أقصاها. بسبب عملية نسف مقر قوات بحارة الأسطول في بيروت واهتزت لمقتل ٢٥٠ جندياً بأكثر مما اهتزت لكل ضحاياها في الحرب العالمية الأولى أو الحرب العالمية الثانية والسبب أنها عاشت بنفسها. تجربة بيروت ولم تعش بنفسها حرب الخنادق المخيفة في الحربين العالميتين.

هنا ظهر أكثر وأكثر دور الوسيط الذي يؤدي للولايات المتحدة. ما لا تريد أن تؤديه بنفسها. وكان هذا ما ضاعف أهمية دور رجل البوليس المحلي في أي منطقة. وبالتحديد في منطقة الشرق الأوسط الخطرة والحساسة.

إن إسرائيل بالطبع أدركت هذا الاحتياج الأمريكي إليها. واستغلته وكانت الولايات المتحدة هي التي سعت إليه. على شكل الاتفاق الاستراتيجي الأخير.



● المصور: نحن الآن أمام موقف أن أمريكا تريد أن تكون اسرائيل هي ضابط ايقاع المنطقة . واسرائيل بحكم ظروفها وتجربتها في لبنان تعرف أن هناك حدوداً لقدرتها .

■ هيكل : هذا صحيح تماماً، وأنا واحد من الذين يعتقدون أن هذا الدور محكوم عليه على المدى البعيد بالفشل لأن أوضاع اسرائيل ذاتها لا تستطيع احتمال تكاليفه إلى مدى طويل . لا أوضاعها البشرية ولا الاقتصادية ولا الاجتماعية ولا حتى العسكرية . وإذا كانت الولايات المتحدة تخاف من بقع الدم على شاشات التليفزيون فإن اسرائيل تخاف منها أكثر بدون شاشات التليفزيون . بسبب قلقها الشديد من الخسائر البشرية . ولقد أظهرت وقائع ما حدث في جنوب لبنان أن هذا صحيح . كما أن وقائع حرب الاستنزاف من قبل ووقائع حرب أكتوبر . كانت تقول لنا بذلك منذ وقت مبكر . لكن صميم المشكلة أننا نحن إلى الجانب العربي أعطينا اسرائيل والولايات المتحدة قبلها الظروف المناسبة لهذا الدور . الذي يستهدفه هذا الاتفاق الاستراتيجي ، عندما تفكك بدواع عديدة نظام الأمن العربي الذي كان يعتمد على القوة العربية الذاتية .

ولقد جاءت المخاوف والوساوس التي أعقبت عملية تفكيك النظام العربي بأفكار غريبة مثل حكاية قوة الانتشار السريع - إن كل حكايات قوة الانتشار السريع لا يمكن أن تكون موجهة للاتحاد السوفيتي . فلو أن هجوماً سوفيتياً مسلحاً وقع على المنطقة فإن مواجهته لن تكون بفرقتين هنا أو بفرقتين هناك . ولكي نكون أكثر صراحة فإن أخباراً كثيرة ترددت عن وجود فرقتين محمولتين جواً يجري اعدادهما في الأردن . تحت مقولة قوة الانتشار السريع . إن الأخبار تسربت من الجلسات السرية للجنة الدفاع في الكونجرس التي قال عدد من أعضائها بصراحة أنهم رفضوا الموافقة على اعتماد بأكثر من مائتي مليون دولار .

ولا أظننا في حاجة الى بحث طويل لكي ندرك أن هذه الفرق للانتشار السريع ليست موجهة ضد غزو من الخارج يقوم به الاتحاد السوفيتي ، إذن فهذه القوات تعد وتجهز لاحتمالات داخلية وهكذا فإننا حتى بأوضاعنا العربية ذاتها نساعد

النظام الذي تريد أن تضعه الولايات المتحدة في المنطقة وتضبط بواسطته كل إمكانيات الحركة. إننا نجد أنفسنا أمام ترتيب له درجات. واحدة بعد الأخرى. واحدة فوق الأخرى. نظم تتولى السيطرة. فإذا حدث خلل مفاجيء كانت قوة انتشار سريع تهرع لمساعدتها في إعادة أحكام سيطرتها وتعزيز قبضتها. فإذا ما اتسع الخلل وتعذرت إمكانية السيطرة عليه جاء الدور النهائي لرجل البوليس الاسرائيلي يضرب ويحسم.

وهو - أكرر مرة أخرى - ليس موجهاً ضد الاتحاد السوفيتي. وإنما هو موجه إلى المنطقة ذاتها.

الاتفاق إذن ليس موجهاً ضد الاتحاد السوفيتي في الواقع ولا هو أيضاً ضد سوريا. إن الموضوع أصغر بكثير من أن يكون موجهاً ضد الاتحاد السوفيتي. ثم أنه أكبر بكثير من أن يكون موجهاً ضد سوريا. كما يحاول البعض أن يقول. هذه هي الترجمة الصحيحة لما نراه الآن. على الأقل من وجهة نظري.

● المصور: ربما تكمن أيضاً بواعث هذا الاتفاق في المصالح التي تتعلق بمصلحة الرئيس الأمريكي في الانتخابات القادمة ورغبته في إخراج قواته المتورطة في لبنان وأن هذا الاتفاق من الناحية الطبيعية لا يخدم المصلحة الرئيس الأمريكي.

■ هيكل: سوف أسمح لنفسني أن أختلف مع هذا الرأي لعدة أسباب:

أولاً: إن فكرة هذا الاتفاق سابقة بكثير لعصر ريجان كله. ولقد سبق كما أوضحت أن وردت إشارات له في عصر نيكسون وتردت في عصر كارتر. ثم طرحت بالفعل على شكل مشروع اتفاق في عصر ريجان وقبل وقت طويل من المعركة الانتخابية.

ثانياً: فلو كان الأمر مجرد المصلحة الانتخابية لبدت العملية كلها مغامرة مصالح بمنطقة تملك الولايات المتحدة فيها مصالح استراتيجية ضخمة. كما أنها تملك فيها صداقات لا يستطيع رئيس أمريكي أن يلعب بها على هذا النحو.

وثالثاً: فإن نصوص الاتفاق الاستراتيجي نفسه تقول لنا بوضوح أن الأمر أكبر من ذلك. إن الاتفاقية تتحدث - وهذا أحد نصوصها أمامي - يتحدث عن «أمن مشترك» بين الأمانة والحاجة إلى تكوينه على «المستوى الاستراتيجي» و«ضرورة أن تتمكن الأطراف بواسطته من ضرورة مواجهة أي تهديد على المنطقة» و«ضرورة العمل العسكري المشترك بما في ذلك المناورات في البحر والجو. وبما في ذلك عمليات التخطيط والتخزين التي تكفل الاستعداد لأي طارئ». ثم أنها تنشيء الأجهزة التي تتولى إدارة هذا التنسيق وترتب له. لو أن الأمر كان أمر المصلحة الانتخابية للرئيس لما كان هناك داع لهذا كله. لا بد لنا أن نلاحظ للأمانة أن نصوص الاتفاقية تقول أنها موجهة ضد «الخطر» السوفييتي. لكن واقع الحال يقول بغير ذلك. ولعلي أزعم أنها لو كانت موجهة بالفعل ضد الاتحاد السوفييتي لما ورد ذلك بنصوصها على هذا النحو الفج لأنها كانت كفيلة باستفزاز الاتحاد السوفييتي بغير مبرر. إن هذه النصوص في الواقع وضعت للتغطية على العرب. واسرائيل تفهم وأمريكا تفهم والاتحاد السوفييتي نفسه يفهم. ان خطوة واحدة من الخطوات التي جرت تنفيذاً لهذه الاتفاقية كانت كفيلة بأن تحقق مصلحة الرئيس الانتخابية. لو أن ذلك كان هو الموضوع. في الخطوات العملية الأولى لتنفيذ الاتفاقية تم الاتفاق على ما يلي:

جرى رفع الحظر عن قنابل الارتجاج العنقودية وأعيد شحنها لاسرائيل.

أنشئت منطقة تجارية حرة بين البلدين تقرر اعتبار المبيعات العسكرية لاسرائيل لهذا العام وبمقدار ١٢٧٥ مليون دولار منحة لا ترد.

ثم اعتبار المساعدة الاقتصادية الأمريكية لاسرائيل بمقدار ٨٥٠ مليون دولار هي الأخرى منحة لا ترد.

وقررت الولايات المتحدة مساعدة اسرائيل على اتمام انتاج الطائرة «لافي». وبعد أن كانت تضع بعض القيود على انتاج المحرك. فإنها على وشك أن تسلّم لاسرائيل تصميمات الجناحين والذيل لكي يجري تصنيعهما في اسرائيل كما أنها تعهدت بمساعدتها في تصدير هذه الطائرة إلى أطراف أخرى.

أعطى لاسرائيل حق شراء ١٥٪ من قيمة المعونة العسكرية الامريكية من سوق السلاح الأمريكي المفتوح .

ولتسهيل هذا الشراء فقد اتفق على أن تقبل أمريكا تحويل ما يوازي ٢٥٠ مليون دولار إلى «الشيكل» العملة الاسرائيلية . بالسعر الرسمي . أي أن اسرائيل سوف تحصل على هذا المبلغ الضخم من الدولارات بعملة لا تساوي في حقيقتها . أكثر من عشر سعرها الرسمي .

فوق ذلك فإن هناك طلبات طلبتها اسرائيل بمقتضى الاتفاقية . ولم يتم البت فيها بعد . بينها الحق في توريد معدات عسكرية ومدنية بمقدار ٢٠٠٠ مليون دولار للقوات الأمريكية في أوروبا .

إلى جانب حق السماح لها بدخول عطاءات الجيش الأمريكي .

أكثر من ذلك فإن اسرائيل طلبت أن تمر المساعدات الأمريكية لأطراف ثالثة خصوصاً في أفريقيا من خلالها . كل هذا من خلال اتفاقية للتسيق والتعاون الاستراتيجي .

خطوة واحدة من هذه الخطوات كانت تكفي . لو أن الأمر امر مصلحة انتخابية هكذا أظن وقد أكون مخطئاً .

● المصور: في فترة من الفترات تنبأ الأستاذ هيكل أننا داخلون في حقبة اسميتها «حقبة الهيمنة الاسرائيلية»، وأن اسرائيل سوف تلعب دور ضابط الايقاع . وستكون ضابط البوليس في المنطقة . لكننا شاهدنا ضواهر مختلفة عن هذا . شاهدنا المجتمع الاسرائيلي ينشق من الداخل وانهباء قاعدته الاقتصادية التي لم تعد تقوى على تكاليف الحملة اللبنانية . وعلى تكاليف بقائها هناك .

إذن حجم هذا الكيان الاسرائيلي لم يكن ضخماً؟ هذا الكيان الاسرائيلي غير قادر على القيام بأعبائه؟

■ هيكل : لو تتذكر تفاصيل تحليلي الذي تفضلت بالاشارة إليه الآن فانني قلت أن

آخر نظام ثابت في المنطقة كان نظام الخلافة العثمانية . بعد سقوط الخلافة دخلنا إلى عدة حقب حاولت كل منها أن تملأ الفراغ الناشئ عن سقوط نظام الخلافة . كانت هناك في البداية الحقبة الاستعمارية الأوروبية . بريطانيا وفرنسا بالاستعمار التقليدي . وهذه الحقبة سقطت بحركات الاستقلال الوطنية التي سادت المنطقة في أوائل الخمسينات ثم جاءت الحقبة القومية التي قادها جمال عبد الناصر في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات . وبشكل أو بآخر ضربت هذه الحقبة بحرب سنة ١٩٦٧ وكان يمكن لها أن تسترد أنفاسها بالعمل البطولي الذي قامت به قواتها في حرب سنة ١٩٧٣ ولكن ذلك لم يحدث لأسباب عديدة لا مجال للدخول فيها . وجاءت بعد ذلك فترة أسميتها شخصياً بالحقبة السعودية وتصورت بمقتضاها أن السعودية التي تملك قوة ضغط هائلة تتمثل في البترول وفوائضه تستطيع أن تؤثر على القرار الأمريكي لكن الحقبة السعودية لسوء الحظ اندثرت تحت الانقراض في بيروت . وبدلاً من أن تساعد على اخراج الاسرائيليين من لبنان ساعدت على خروج الفلسطينيين من لبنان .

وفي جو أوهام القوة الذي استبد بشارون وبيجين وغيرهما أثناء الأيام الأولى من عملية غزو لبنان بدا أن اسرائيل تلعب لعبتها الخاصة على ضم أجزاء من لبنان ولقد كانت تحاول أن تفعل هذا بالتعاون مع أحد الأجنحة المارونية في لبنان . إن ما رأيته في تلك الحقبة القصيرة كان شيئاً غريباً . بعض الدول العربية يتصرف كقبائل . والبعض الآخر يتصرف وكأنها الحرب الصليبية من جديد بعض الموارد من لبنان . وبالتحديد قوات الكتائب وبعض من القوات اللبنانية وكأنها بقايا قوات موجودة من أيام الحروب الصليبية . ثم أن بعض الدول كانت تتصرف كعصابات بدا لوهلة وكأنها الحقبة الاسرائيلية . اسرائيل كقوة امبراطورية محلية تلعب لعبتها الخاصة وراح شارون يتحدث عن نطاق العمل العسكري الاسرائيلي من تركيا إلى باكستان . بهذا المنطق وفي هذا المناخ حدث الغزو الاسرائيلي للبنان . عملية لصالح اسرائيل والعالم العربي كله يقف مرعوباً وكأنه لا يقدر على حراك . في هذا الجو تحدثت عن الحقبة الاسرائيلية ثم رأينا بالتجربة العملية في لبنان أن هذا الدور الاسرائيلي المستقل لا يستطيع أن يقف طويلاً على قدميه وفي النهاية عدنا

إلى ما كنا فيه . كأن كل السنوات الطويلة الماضية - ستين سنة - لم تكن ونحن عائدون إلى نظام وصاية جديدة . ولكنه هذه المرة أمريكي . عائدون من جديد وكان نعيد الكرة بعد مؤتمر فرساي ومعاهدة الصلح ونظام الحماية والانتداب وكان المرحلة الوطنية والحقبة القومية والحقبة السعودية وحتى حقبة الهيمنة الاسرائيلية - كل هذا كأنه لم يحدث . وكأننا نعود من جديد إلى نوع من الوصاية : قوة كبرى أجنبية تتولى تنظيم الأمور وتقوم بتعيين مسؤولي الأمن .

إن تطورات الأمور سوف تثبت أن العودة إلى الماضي صعبة ومع ذلك فالمنطقة كلها مقبلة على زواجع وعواصف .

● المصور : مرة أخرى فإننا لا نكتفك تشككنا الكامل في إمكان أن تستطيع اسرائيل بترتيبها وتناقضاتها الداخلية وضعف قاعدتها الاقتصادية . أن تقوم بهذا الدور .

■ هيكل : مطلوب منها على أي حال الآن أن تلعب هذا الدور . أنت تتصور أحياناً أن القوة الكبرى لديها ذكاء ليس موجوداً عند غيرها . وهذا مع الأسف الشديد غير صحيح . إن الذكاء ليس موجوداً في الكمبيوتر . بل إن الكمبيوتر كما يقول خبراءؤه آلة غيبية لا تستطيع أن تعطيك الا ما تضعه أنت فيها . وهكذا تفشل حسابات الكمبيوتر بمقدار فشل أصحابه عن تمثل الحالة الانسانية ولو افترضنا هذا الذكاء الأمريكي المفرط لما حدث لأمريكا ما حدث في منطقتنا وفي غيرها من المناطق . إن الولايات المتحدة . مقتنعة في هذه الأيام على الأقل . بأن اسرائيل تستطيع أن تلعب هذا الدور . ولا بد أن نسلم مع الأسف أنها في بعض المراحل نجحت فيه . دعني أسألك مرة أخرى من الذي دفع العرب جميعاً إلى أبواب البيت الأبيض أثناء حصار بيروت . إن دبابات « شارون » لم تسق أمامها فقط لاجئين فلسطينيين ولبنانيين من الجنوب ولكنها ساقطت أمامها عدداً كبيراً من العرب يناشدون الرئيس الأمريكي لكي يتدخل .

● المصور: ولكن مضاعفات الحرب بعد ذلك ومشاكل وجود اسرائيل في لبنان أحدثت آثاراً بعيدة.

● هيكل: هذا صحيح ولعلي أقول أن أهم هذه الآثار التي حدثت هو هذه اليقظة التي جرت في مصر في رد الفعل لهذا الاتفاق الاستراتيجي. هذه ظاهرة إيجابية إلى أبعد حد. لقد بدأت يقظة وبدأ تنبه للأحداث واثارت تساؤلات. وهذه مسألة إيجابية بأي معيار.

إنني لا أتصور ولا أريد أن نندفع نتيجة لهذه اليقظة إلى عمل فوري ضد أمريكا كما يطلب البعض. أو ضغط على أمريكا كما ينادي البعض. ذلك كله غير وارد الآن. ما أتمناه هو مجرد محاولة إعادة تقييم نعرف بها أين نحن وماذا نريد وما هو المناخ الذي نتحرك فيه وكيف نستطيع أن نتحرك. محاولة تقييم أيضاً ليست محاولة لإقناع أمريكا بتغيير موقفها لأن الإقناع له وسائله. إن الإقناع على المستوى الدولي ليس حججاً في مقابل حجج وليس نصوص قانون في مواجهة نصوص قانون وليس كلاماً في مقابل كلام إنك لا تستطيع أن تقنع إلا بما هو مقنع. والمقنع الوحيد هو إمكانيات قوة حقيقية. وإذا لم تكن لديك فلا فائدة في الحجج ولا في النصوص ولا في الكلام.

أقول مرة أخرى أن الصدام مع أمريكا غير وارد. ولا الضغط عليها وارد أيضاً يكفيني جداً في هذه المرحلة أن تكون هناك يقظة وأن يكون هناك تنبه في مصر وأن يعقب هذا ما ينبغي أن يترتب عليه من إعادة تقييم بمعنى أن ندرس وأن نفكر. بل لعلني أدعي أنه حتى لو أرادت جهة ما تملك صنع القرار أن تبحث عن بدائل، فإن موقفها سوف يكون بالغ الصعوبة لأن الميراث ضخمة وثقيل.

أحياناً أشعر أننا ما زلنا نعمل بغير استراتيجية محددة أو مقنعة. على الأقل كانت هناك في فترات سابقة، في عصر الملك فاروق والوفد ثم في عصر عبد الناصر كله والنصف الأول من عصر السادات استراتيجية مصرية تعتبر أن الخطر قادم من الشرق وأن مصر مستهدفة به. حتى بقصد عزلها عن العالم العربي. الآن تطرح استراتيجية مختلفة..

وعندما يقول لي أحد أن العدو هو الاتحاد السوفيتي فإنني بكل أمانة . أقول أن تلك ليست معركتنا لأنها فوق طاقتنا . ولأن لها حسابات مختلفة تماماً

وعندما يقول لي أحد أن الخطر هم الكوبيون في ليبيا أو أثيوبيا أو أنجولا فإنني أقول أن هذه ليست معركة على الاطلاق ليس فيها ما يهدد مصر وأمنها مهما فعلوا ومهما طال بهم الزمن .

ومع ذلك فإن هذه المقولات تكشف تفسيرات طارئة لمفهوم الأمن المصري . وهي في أقل القليل تحتاج إلى مناقشة ولم يقل لنا أحد ما هي المتغيرات التي استوجبت ذلك؟ .

● المصور: ما الذي يستهدفه الاتفاق من الموقف السوري - على الأقل في تصورك؟ على ضوء الأدوار الغربية والمتناقضة التي رأيناها من الموقف السوري؟

■ هيكل: إن سوريا طرف يقف - على الأقل لأسبابه - ضد عملية التسوية الشاملة . لأنه لن يحصل على شيء منها على الاطلاق . على سبيل المثال - كان هناك إغراء لمصر باستعادة سيناء وبالنسبة للأردن فإن هناك اغراء للملك حسين بأنه سوف يمارس سلطة الحكم الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة أما بالنسبة لسوريا فقد تمت اجراءات ضم الجولان وأقفلت الملفات وإذن فان سوريا تشعر أن لا مصلحة لها فيما يسمى بالتسوية الشاملة وبالتالي فيه طرف معاد ضد إعادة ترتيب الأوضاع في المنطقة .

والذي كنا نخشاه طوال عمرنا حدث وهو أن تنقسم المنطقة إلى كيانات أقليمية تقوم على الاحساس الجغرافي السياسي بكل حدوده الضيقة فتكون منطقة الخليج وحدة أقليمية مشغولة بمشاكلها هناك . ويكون المغرب العربي بعيد عن المشرق ومشغولاً بمشاكله كحرب الصحراء أو غيرها . وتكون منطقة الهلال الخصيب وحدها بكل التفجرات الدائرة فيها سواء بسبب المشكلة الفلسطينية أو الحرب العراقية الايرانية . ثم تنكفئ مصر على ذاتها . كان هذا مطلوباً دائماً وباستمرار أن تنعزل مصر في هذا الجزء من أفريقيا وتبتعد تماماً عن المشرق العربي .



● المصور: نعود الى سوريا، لم يكن داخلاً في الاعتبار على الأقل طبيعة العلاقات السورية السوفيتية. ما هو تقييمك لطبيعة العلاقات السورية السوفيتية؟

■ هيكل: لقد كنا نقول إنه ليست هناك حرب محتملة بين القوتين الأعظم. وإذا اقتضت مصالح إحداهما إجراء عمل جراحي فإنه بالطبع يفضل أن يتركها لطرف آخر موال له يتولى المهمة بالوكالة وهكذا فأنا لا أتصور أن يتدخل الاتحاد السوفيتي في معركة بين سوريا واسرائيل. إن مشاكل النظام السوري في الداخل كثيرة ومعروفة. منها استناده على أقلية طائفية ومنها درجة القمع التي يمارسها في مواجهة خصومه ومنها المأزق الذي يجد نفسه فيه حين لا يجد له نصيباً فيما يسمى بالتسوية الشاملة وقد أضيفت إلى هذه المشاكل مشكلة صحة الرئيس حافظ الأسد. فإذا استطاعت اسرائيل أن توجه ضربة الى الجيش السوري في لبنان فإن هذا قد يؤدي إلى ردود فعل داخل سوريا قد تؤدي بالنظام إلى طريق مسدود تماماً. ولهذا فأنا لا أستبعد أبداً هجوماً اسرائيلياً على القوات السورية في لبنان. والغريب أن سوريا دخلت لبنان بمباركة أمريكية سابقة وعلى أي حال فهذه مسألة خارجة عن نطاق الاتفاق الاستراتيجي لأنها سابقة بكثير عليه.

وإن كان هذا لا يمنع من إضافتها الآن على حساب هذا الاتفاق. أريد أن أقول أنني قد أكون متعاطفاً مع الموقف السوري من التسوية الشاملة لكني لا أستطيع مع الأسف أن أنسى أن سوريا هي التي سمحت بما حدث في لبنان وهي التي تركت لاسرائيل الفرصة لتنسق مع الكتائب مما أدى بإسرائيل إلى أن تجيء بأول رئيس كتائبي في لبنان تفرضه فرضاً بقوة السلاح وبصرف النظر عن موازين القوة في لبنان.

وعلى أي حال فإن لبنان ليس عنصراً مؤثراً في عملية التسوية. إن لبنان وجد نفسه بحكم ظروفه ساحة لمواجهة بين قوات أكبر منه.

● المصور: بالرغم من أن سوريا تمثل العقبة إلا أننا في فترات مختلفة أحسنا بأشياء غريبة فموضوع دخول القوات السورية إلى لبنان تم بمباركة أمريكية كما قلت ودخول القوات الاسرائيلية إلى لبنان تم بمباركة سورية.

وقد قال الأسد لقادة المقاومة أنه كان يتصور أن القوات الاسرائيلية سوف تدخل لمسافة ٤٥ كيلو متراً فقط ولكنهم تجاوزوا هذه المسافة لغزو شامل وصل إلى بيروت .

■ هيكل : إنني اتفق معك فيما يتعلق بالجزء الأول من السؤال وأعرف أنه صحيح أن إسرائيل استؤذنت في الدخول السوري إلى لبنان . وتم ذلك عن طريق الولايات المتحدة . بل وجرى تخطيط حدود فاصلة لا يتعداها هذا التدخل . ومع الأسف فإن التدخل السوري انقذ أسوأ العناصر في لبنان في وقت كانت فيه الغلبة للقوة الوطنية فيه وعلى أية حال فقد كانت لسوريا في تدخلها دعاوي مردود عليها . كان بين دعاويها بالتدخل المحافظة على التوازن الطائفي ولا أعرف أي توازن أرادوا الحفاظ عليه وكان بين دعاويها تجنيب لبنان مخاطر الحرب الأهلية لكن الحرب استمرت بوجودها وإن كان مسارها قد أعيد توجيهه لصالح قوى مختلفة وهكذا فإن التدخل السوري أعطى الوقت اللازم للتدخل الاسرائيلي فإن فترة التواجد السوري في لبنان كانت بالضبط هي الفترة التي وصل فيها التعاون بين اسرائيل والقوات المتواطئة معها إلى مدها . إنني لا أتصور أن سوريا كانت تعرف حقيقة ما يجري بين اسرئيل وبين القوات اللبنانية ومدها . لكن الجهل في بعض الظروف أشد خطراً من التآمر .

بعد ذلك فإني أختلف معك في الجزء الثاني من السؤال . فلا أظن أن سوريا باركت الدخول الاسرائيلي إلى لبنان . أقصى ما نستطيع أن نقوله أن سوريا أخطرت بعد بدء الهجوم بمداه حتى يمكن تجنب صدام بينها وبين اسرائيل لم تكن الولايات المتحدة تريده في ذلك الوقت . وإذا كانت سوريا قد فوجئت بحدود التقدم الفعلي للغزو الاسرائيلي فلم تكن هذه أول خديعة وقعت فيها ولم يكن لها أن تلوم إلا نفسها .

● المصور : ماذا فعلت سوريا عندما تجاوزت اسرائيل هذه المسافة؟

■ هيكل : حتى أكون منصفاً لم تفعل شيئاً ولم يكن في استطاعتها أن تفعل شيئاً فلا درجة استعدادها كانت تسمح لها بأن تقف ولا كان في الموقف العربي كله ما يشجعها على الوقوف على فرض أن ذلك كان بين نواياها .

● المصور: لقد فوجئنا بموقف سوريا من الفلسطينيين والأحداث الأخيرة في طرابلس وحتى الآن يصعب علينا فهم طبيعة الموقف السوري ودوره في هذه الفترة.

■ هيكل: في الواقع أننا ينبغي أن نفصل بين مسألتين: الموقف السوري من منظمة التحرير الفلسطينية بصفة عامة، وما جرى بعد ذلك قرب النهاية في طرابلس هناك في الأصل مشكلة دائمة وحساسيات ورواسب في العلاقات بين منظمة التحرير وسوريا كانت هناك باستمرار مشاكل آخرها بينها موضوع الاتصالات والمفاوضات بين منظمة التحرير الفلسطينية والأردن وفقاً لمقررات فاس أو وفقاً لمشروع ريجان وهي اتصالات تصورت سوريا أنها تجري من ورائها تلك على أي حال قصة طويلة.

أما موضوع طرابلس فإنه موضوع طارئ تصورته سوريا فرصة مواتية للإمساك بتلابيب منظمة التحرير الفلسطينية، إن سلسلة الحوادث التي هزت الوضع في طرابلس كلها مؤسفة ومحزنة وليس فيها ما يعود بفائدة على أحد من أطرافها. فمنظمة التحرير كان عليها أن تتفادى بأي ثمن صراعاً مع سوريا أو انقساماً من الداخل ثم أن هؤلاء الذين رفعوا السلاح تمرداً ضد القيادة التاريخية لمنظمة التحرير سوف يكتشفون في النهاية أنهم لا يمثلون إلا ورقة في يد سوريا. وحتى سوريا تقع في خطأ مخيف عندما تتصور أن ما حصلت عليه في طرابلس ورقة فلسطينية تستطيع أن تستعملها في الضغط من أجل أن يكون لها نصيب في التسوية الشاملة تحصل بمقتضاه على الجولان. هكذا فإن كل الأطراف خاسرة في طرابلس التي تبدو مشاهدتها أمامنا وكأنها مأساة أغريقية.

يبقى في كل الأحوال أن صورة ما جرى في طرابلس لا يمكن فهمها بأبعادها الحقيقية إلا إذا وضعناها كجزء من الصورة العربية الشاملة ان ما كنا نسميه النظام العربي اختلت أركانها كلها وتداعى الكثير من جدرانه. إن عوامل المقاومة العربية انتقلت كلها من المؤسسات الظاهرة إلى ما تحت الأرض ونزلت من القمم إلى مستوى القاع وهذا ما يربك الولايات المتحدة ويزعج اسرائيل الآن لقد كان سهلاً بالنسبة لأمريكا أن تتعامل كما تعاملت في الماضي مع أنظمة وحكومات أما الآن

فإنها لأول مرة تتعامل مع المجهول تجد نفسها في مواجهة الدروز في الشوف والشيعية في الجنوب والموارنة في شمال الجبل وفي جنوبه. تواجه تركيبات اجتماعية وطائفية وعنصرية يصعب حساب مركبتها وتستحيل مواجهة أسلحتها ابتداء من الصواريخ الطائرة والى السيارات المتفجرة.

● المصور: الموقف السوري هو آخر ما تبقى للسوفييت من الصراع العربي الاسرائيلي.

وسؤالي هل هذا الموقف يمكن أن يكون المؤثر التلقائي في الخروج من الأزمة في المنطقة.

■ هيكل: لنكن واضحين أن الاتحاد السوفيتي أول من يعرف أنه أرغم على الخروج السياسي من المنطقة عندما جرى إخراجه من مصر في الفترة ما بين ١٩٧٢ حين جرى طرد الخبراء السوفييت. وسنة ١٩٧٣ حينما جرى انتصار أكتوبر بسلاح سوفييتي وجرى استبعاده من كل النشاط السياسي الذي أعقب توقف المعارك. بخسارته في مصر - بصرف النظر عن أسبابها - أدرك الاتحاد السوفيتي أنه خسر المنطقة وصحيح أنه بقيت لديه مواقع لكن هذه المواقع كانت مجرد محطات انتظار مؤقتة ومعرضة في أي وقت ومكشوفة فالإتحاد السوفيتي فيما أتصور يعرف أوضاع سوريا على حقيقتها كما يعرف أوضاع المنطقة كما هي الآن وأتصور أنه في تراجعه من القلب العربي لا يريد أن يخرج - بل ويستحيل عليه أن يخرج إلى أطراف المنطقة مرة واحدة ولهذا فإنه لا يمانع بل ويرحب أن يجد محطات انتظار بتوقف فيها لعل وعسى أن تجيء التطورات في منطقة مفتوحة على آخرها لرياح التغيير بما يسمح له أن يستعيد ما ضاع منه.

أظن أن موقف الإتحاد السوفيتي في سوريا موقف انتظار. لا أريد أن أقلل من أهمية هذا الموقف وأعتقد أن الإتحاد السوفيتي لن يقف ساكناً إذا تعضرت سوريا نفسها لعدوان داخل حدودها لكن قواتها في لبنان شيء آخر لا يخضع لأحكام معاهدة الصداقة بين البلدين.

وننتقل الى موضوع الصواريخ التي أعطها الإتحاد السوفيتي لسوريا والتي تقول إنها سلاح يستطيع لأول مرة أن يصل الى عمق اسرائيل. صحيح يبدو أمامنا

في ظاهر الأمور أن الاتحاد السوفيتي أعطى لسوريا صواريخ بعيدة المدى لكن مثل هذه الأمور لا يمكن أن تؤخذ بظواهرها وإنما هناك تساؤلات تحيط بها ويستحيل علينا من الخارج أن نجد إجابات مقنعة عليها مثلاً ما هي كمية هذه الصواريخ وفعالاً ما هي حدود استعمال هذه الصواريخ ومثلاً من الذي يملك الأمر باستعمال هذه الصواريخ. إذا أخذت بتجربتنا في مصر على سبيل المثال فأنا أعرف أن الاتحاد السوفيتي أعطانا في مصر سنة ١٩٧٣ مجموعة من صواريخ «الأسكود» البعيدة المدى لكن عدد ما كان لدينا منهم لم يكن يزيد على عدد أصابع اليدين وعندما استعملت مرة واحدة ووحيدة قبل دقائق من وقف إطلاق النار يوم ٢٢ نوفمبر فلقد جرى إطلاقها بإشراف سوفيتي مباشر ولا أعتقد أن الضربة بهذه الصواريخ كانت دقيقة، أو مطلوب أن تكون دقيقة تماماً لأن الخسائر التي نتجت منها لم تكن على مستوى قوة فتك هذا السلاح وربما كان هذا مقصوداً لأسباب تتعدى حدود الصراع المحلي. أطلقت الصواريخ إرضاء لمشاعر عربية وربما استجابة للإحاح عربي ثم جرى - كما يبدو لي - تحديد قوة فتكها حتى لا تختل موازين أبعد من الصراع العربي الإسرائيلي. في المحصلة أقول إنني لا أتصور أن الاتحاد السوفيتي سوف يجازف من أجل سوريا خارج حدود معينة وفي الحقيقة فإن مشكلة سوريا الآن أنها لا تملك أوراقاً وإنما تملك نصف أوراق تملك نصف ورقة لبنانية بسبب وجودها الفعلي في لبنان وتملك نصف ورقة سوفيتية وتملك نصف ورقة فلسطينية بهذا البديل الذي تتصور أنها وجدته لمنظمة التحرير الفلسطينية وأنا لا أعرف إذا كانت أنصاف الأوراق قابلة للعب بها على موائد السياسة الدولية. من جانبي أتصور أن اللعب بها صعب وعلى أي حال فإذا استطاع الرئيس حافظ الأسد أن يثبت شطارته ويلعب بأنصاف أوراق ويكسب ويستعيد الجولان لسوريا فعلينا جميعاً أن نتمنى له حظاً سعيداً.

● المصور: ما فهمناه حتى الآن من سيناريو هذا الاتفاق الاستراتيجي القادم أن هناك شبه اتفاق إسرائيلي أمريكي بالانسحاب من نهر الأردن إلى نهر الزهراتي وأن هذا الانسحاب ربما يستتبعه انسحاب آخر وأنه ربما يكمل بقية السيناريو محاولة ضغط على السوريين لكي يقوموا بالانسحاب مواز لانسحاب

إسرائيل وإذا وسعت السلطة الشرعية اللبنانية دائرة نفوذها في هذا المجال تتمكن من الذهاب إلى الأمم المتحدة سواء بضغط من العالم العربي على سوريا أو إحراج سوريا أو بتطورات الوضع الداخلي في سوريا ذاتها ما رأيك في هذا الموضوع. هل يؤدي هذا الاتفاق إلى أن يعود للبنان سيادته مرة أخرى؟

ونرى أنه كان بإمكان سوريا إفشال مؤتمر المصالحة اللبنانية في جنيف منذ اليوم الأول. ولم يفعلوا ذلك بل بالعكس إنهم وبمجموعة جبهة الخلاص الدقيقة الصلة بهم نحواً جانباً اختلفهم على الاتفاقية اللبنانية الإسرائيلية وتكلموا حول حق كل طرف في تمثيل أكثر عدالة في السلطة اللبنانية.

■ هيكل: هل تتكلمون عن شرعية السلطة في لبنان؟

● المصور: نتكلم عن مجمل تأثير الاتفاق الاستراتيجي على مسار الوضع في لبنان والعلاقات السورية اللبنانية والعلاقات الإسرائيلية اللبنانية.

■ هيكل: لا بد لنا أن نفصل بين هذه الموضوعات كلها مع تسليمي أن هناك على نحو أو آخر خيطاً يربطها جميعاً.

أولاً إن الاتفاق الاستراتيجي الأخير لا صلة له مباشرة بلبنان فنطاقه أوسع بكثير من حدود هذا البلد الصغير وثانياً: فإننا يجب أن نلاحظ أن الخروج الفلسطيني من لبنان أنهى إلى حد ما تلك الرابطة المعقدة بين القضية الفلسطينية وبين مصير لبنان. في وقت من الأوقات كان حل المشكلة اللبنانية يرتبط بحل أزمة الشرق الأوسط ارتباطاً عضوياً لا مفر منه وأما الآن فقد حدثت على الأقل عملية تفكيك لهذا الارتباط.

وثالثاً: فإنه نتيجة لذلك أصبحت هناك مشكلة لبنانية واضحة في معالمها وهذه المشكلة هي في الواقع مشكلة شرعية. إنني أعتبر أن السلطة القائمة في لبنان لا تمثل إلا قلة من الموارد الذين هم بدورهم أقلية في لبنان.

إن صميم المشكلة القائمة الآن في لبنان هو أن القوى الداخلية فيها تحاول

إعادة ترتيب البيت اللبناني طبقاً لأوضاع جديدة قابلة للاستمرار. لا يمكن أن يستمر لبنان بإهدار الحقوق المشروعة لأغلبية مسلمة سنية أو شيعية أو درزية ولا يمكن أن يستمر لبنان بإهدار حقوق مشروعة لطوائف مسيحية أخرى مارونية وغير مارونية رفضت وأدركت أن بقاء لبنان حراً يرتهن ببقائه عربياً وهي حقيقة جغرافياً وتاريخياً لا يمكن لأحد أن يتجاهلها أو يتجاوزها. هذه هي المشكلة الآن في لبنان وهذه هي القضية أو القضايا التي يستهدفها مؤتمر المصالحة الوطنية. إن كل أطراف المصالحة اللبنانية تريد حلاً لبنانياً وهي على استعداد لأن تتعايش لكنها ببساطة لا تستطيع أن ترجع إلى صيغة ميثاق سنة ١٩٤٣ الذي تغيرت الدنيا من أيامه. إن المشكلة بالطبع تتعقد بوجود عسكري سوري في لبنان ووجود عسكري إسرائيلي في لبنان. وهناك ضغوط دولية كثيرة لتخليص لبنان من هذه «التواجيدات العسكرية» الوافدة لكن الأمر في صميمه يتعلق بإقامة سلطة لبنانية شرعية حقيقية وإذا حدث هذا فإن لبنان يقطع نصف الطريق للتخلص من الوجود العسكري الخارجي وربما كانت الضغوط الدولية تكفيه في هذه الحالة لمنطقة النصف الآخر من الطريق. إن السلطة القائمة الآن في لبنان يتحتم عليها أن تدرك أن شرعية بشير الجميل الذي جاءت به دبابات إسرائيل إلى الرئاسة ليست قابلة للاستمرار خصوصاً وأن قنابل إسرائيل نفسها هي التي أزاحتها من الطريق عندما حاول أن ينزل من فوق الحصان الإسرائيلي ليركب حصاناً أمريكياً. إن التفاصيل لم تعد سراً لقد استدعي بشير الجميل قبل أسبوع من اغتياله إلى فندق في مصيف نهاريا حيث قابله بيجين وشارون وانتهت المقابلة في نصف ساعة حين أعطاه بيجين ورقة تحمل نص اتفاق مكتوب بين لبنان وإسرائيل طلب إليه توقيعه وإقراره في ظرف أسبوع وإلا فإن عليه أن يتحمل النتائج وخرج بشير الجميل من الاجتماع أصفر الوجه مرتعشاً طبقاً لرواية بعض شهود العيان وعاد إلى بيروت وبعث برسائل إلى واشنطن وإلى بعض العواصم العربية يقول فيها صراحة أن بيجين هدده بالقتل ولقد تصور أن الولايات المتحدة قد تستطيع أن تحميه لكن لغماً إسرائيلياً سبق الجميع إليه.

إذن ولا بد من إعادة ترتيب البيت اللبناني بما يعطي لكل طرف حقه إذا أريد ضمان بقاء لبنان ذاته.

نجيء إلى نقطة الانسحاب الجزئي الإسرائيلي الذي أشرت إليه في سؤالك إلى خط الزهراني وردي أن ذلك ربما يحدث. لكنني أعتقد مع الأسف أن إسرائيل لن تترك بسهولة منابع اللبثاني والوزاني وهذا موضوع قديم جداً ونستطيع في شأنه أن نعود إلى نصوص مذكرات شاديت إلى ما أورده فيها من مناقشات دارت بينه وبين بن جوريون. كان بن جوريون مصراً حتى من قبل قيام إسرائيل على ضرورة أن يضم إليها جنوب لبنان وكان بن جوريون يصراً أيضاً على ضرورة إقامة الدولة المسيحية في لبنان وهذا شيء لا علاقة له بسوريا ولا بحافظ الأسد فلم يكن حافظ الأسد وقت هذه المناقشات الحادة لرسم استراتيجية إسرائيل في المستقبل قد تخرج بعد من كلية الطيران.

● المصور: هناك محاولات لإظهار قدر من التطابق بين المصالح الاسرائيلية والأمريكية في المنطقة والتوحيد بينها. فهل من الممكن أن تتوحد هذه المصالح في المنطقة؟

■ هيكل: هذه نقطة في غاية الأهمية وقد كنت ألع دائماً على هذا الموضوع منذ مدة طويلة وحتى الآن. في هذه المرحلة ولسبب أوضاع متردية في العالم العربي يبدو أن هناك تطابقاً. وهذا ما أدى إلى إعلان وتفنين الاتفاق الإسرائيلي بين الاثنين في هذه المرحلة لكن هذا التطابق ليس حتماً على المدى البعيد. بل إننا إذا نظرنا إلى الأجواء التي صاحبت عملية تنفيذ بنود هذه الاتفاقية لوجدنا أن هناك في الولايات المتحدة أطرافاً لها قوتها لا ترى هذا التطابق حتماً. على سبيل المثال كانت إسرائيل تريد أن يكون هناك ممثل لوزارة الخارجية الأمريكية ولوزارة الدفاع في لجنة التنسيق المشتركة التي ستجتمع في يناير القادم لكننا نلاحظ أن وزارة الدفاع الأمريكية رفضت وقالت إنها لا تريد أن ترسل مندوباً لأن ذلك قد يؤدي إلى تعريض القوات الأمريكية الموجودة في مناطق كثيرة من العالم العربي للخطر ونشب خلاف بين وزارتي الخارجية ووزارة الدفاع. وفي النهاية استقر الأمر على أن يكون هناك ممثل أمريكي واحد في اللجنة ووقع الاختيار على الأدميرال «جوناثان هاو» وهو مدير المكتب السياسي العسكري في وزارة الخارجية تمثيلاً للخارجية واعتبرت رتبته العسكرية تمثيلاً لوزارة الدفاع وأمكن حل الإشكال دون



أن ترسل وزارة الدفاع عسكرياً في الخدمة العاملة لتمثيلها في اللجنة لقد رأينا الأدوار تنعكس في الولايات المتحدة رأينا شولتز وزير الخارجية وهو الرجل الدبلوماسي الذي كان يوصف بالتعقل والذي كانت إسرائيل تعتبره من الحمايم المتعاطفين مع العرب بسبب ارتباطه السابق بشركة «بكتيل» ذات المصالح الهائلة في الدول البترولية العربية يصبح فجأة أكثر المتشددين وعلى الجانب الآخر في مقابله يقف «واينبرجر» وزير الدفاع الذي كان مشهوراً بأنه صقر الصقور يتخذ موقفاً عاقلاً أو على الأقل أكثر هدوءاً بالطبع يحكمه في هذا حرصه على أرواح الأمريكيين الموجودين في المنطقة خصوصاً بعد عملية نسف مقر قيادة جنود البحر. مهما كانت هذه الشواهد خفيفة فإنها توحى بأن التطابق ليس كاملاً حتى في لحظة توقيع الاتفاق.

### ● المصور: لماذا؟

■ هيكل: لاعتبارات المصالح بعيدة المدى.

### ● المصور: هل يمكن أن تسرد قائمة التوافق وقائمة عدم التطابق؟

■ هيكل: نبدأ أولاً بقائمة التطابق. نجد أولاً أن الطرفين معاً يرغبان كلاهما في وجود عالم عربي بغير مصر وهذه نقطة حيوية باعتبار أن المنطقة العربية حساسة جداً كما أن بها إمكانات كامنة للقوة الذاتية ويمكنني أن أشبه المنطقة ككل بعربة ذات محرك قوي. المحرك هو مصر والعربة هي بقية العالم العربي بديهياً أن العربة بدون محرك لن تسير وأن المحرك بدون عربة فإنه لا يستطيع أكثر من أن يصدر أصوات فقط بمعنى أنه «يزن» لأكثر من سبب هناك رغبة الطرفين ألا تكون لأي دولة عربية علاقات بالاتحاد السوفيتي وإلا يعود السلاح السوفيتي إلى المنطقة حتى تستحيل تماماً إمكانية حرب بين العرب وبين إسرائيل.

هناك قضايا بعد ذلك لا يوجد فيها تطابق أولها: أن الولايات المتحدة لها في المنطقة مصالح استراتيجية دائمة لها أهميتها في المواجهة المستمرة بينها وبين الاتحاد السوفيتي على النطاق العالمي. الولايات المتحدة لديها أيضاً في العالم العربي مصالح طاقة لا يمكن الاستغناء عنها بالنسبة للغرب في مدى الرؤية الذي

يمكن أن يمتد إلى قرن كامل. الولايات المتحدة لديها أيضاً في العالم العربي كمية استثمارات لا أول لها ولا آخر.

وإذا سألتني أحد لماذا وهذه المصالح الأمريكية في المنطقة هائلة ترضى الولايات المتحدة بأن تسيء إلى نفسها على هذا النحو بمثل هذا الاتفاق الاستراتيجي مع إسرائيل وردي أن هذا ليس شيئاً غريباً نستطيع أن نقول بتشبيه أرجو ألا يكون روائياً أو خيالياً أن العرب في هذه اللحظة يمثلون بالنسبة للولايات المتحدة كنزاً لكن إسرائيل في هذه المرحلة من الضعف العربي هي حارس هذا الكنز هذه صورة قريبة من الحقيقة إلى حد بعيد أهمية حارس الكنز في مثل هذه الظروف تصبح أكثر من أهمية الكنز الذي لا يملك أن يدافع عن نفسه أو يحمي ما فيه من الثروات والنفائس.

### ● المصور: كيف تتوقع أن تكون ردود أفعال مصر على هذا الاتفاق؟

■ هيكل: قلت من قبل أنني أرى الآن ظاهرة صحية. أرى تنبهاً في مصر بالذات وأرى محاولات يقظة وأسمع تساؤلات وأقول حقيقة ويجب أن أسلم أن تلك في مثل هذه الظروف شجاعة لأن شكل الواقع أمامنا كفيل بأن يوحى إلينا أننا أمام ظروف لا يستطيع فيها أحد أن يفتح فمه. قمع وسلاح ومخاطر كلها من جانب واحد وكلها تغري بالصمت ولهذا فإن ما نراه الآن في مصر من تنبيه ويقظة وتساؤل وكله ظواهر صحية.

### ● المصور: هل نفهم أن حجم الموروث يعوق قدرتنا إلى اليوم ويضع سقفاً على ردود الأفعال المحتملة؟

■ هيكل: حجم الموروث مخيف وحتى أكون منصفاً فإنني أقول أن حجم الموروث من تجربة عبد الناصر وما كان ينبغي تصحيحه فيها وما كنا نطالب بتصحيحه وما كان جمال عبد الناصر نفسه يرجو تصحيحه. كان كبيراً ثم أن حجم الموروث من تجربة الرئيس السادات وفيه كثير كنا نرجو ونأمل ألا يحدث شديد الكثافة وتفاعل هذا كله وتداعيه جعلنا في النهاية أمام أوضاع في منتهى الصعوبة

## ● المصور: كيف تتصور مصر حيال هذا الاتفاق؟

■ هيكل: ما يقلقني أنه حتى هذه اللحظة لا أرى محاولة حقيقية لتوصيف هذا الحمل ولبحث إمكانيات الحركة تجاهه وكيف يمكن أن نعيد بعث الأمل وهذا يخيفني . . لقد جرت محاولة في المؤتمر الاقتصادي مثلاً والشئ الغريب الذي يحدث في مصر سواء كان في المؤتمر الاقتصادي وغيره ولكنه المدهش أنك تتكلم والآخرون يتكلمون ثم لا يصل الكلام إلى نهاية.

● المصور: نحن نعلم أن حجم المسافة وحجم مساحة التغيير التي حدثت حتى الآن هي بلا شك ضخمة وربما لو أن التغيير الذي حدث في المناخ كان قد حدث أولاً في الأشخاص فكلنا نعلم أننا لو أحضرنا الأشخاص ووضعناهم في نفس المناخ فربما كانوا أسوأ من سابقهم كلنا كان يرجو أن يتم التغيير بمعدلات أسرع من هذا ولكن يجب أن ننظر إلى ما كان في سبتمبر ١٩٨١ .

■ هيكل: إن موقفي هو موقف تقدير لما يجري وتفهم له وأنا أدرك جيداً أنه حدث تغيير في المناخ وأقول بدون تردد أن الوضع في مصر أحسن منه مائة مرة في أي بلد عربي آخر على الأقل يوجد هنا أناس يتكلمون ويتناقشون . . يكفيني أن أجد ثلاث جرائد للمعارضة . يكفيني أن مناخ الرعب الذي كان سائداً في سبتمبر ٨١ قد انتهى يكفيني أنه يوجد الآن من يقول لإسرائيل لا .

حدث بالفعل تغيير في المناخ لكننا يجب أن نتحرك إلى ما بعد المناخ وأوله قضية المشاركة الفعلية والتأثير الديمقراطي على صنع القرار في مصر وبعده يجيء الدور المصري وضرورة استعادته . أن مصر ليست دولة جغرافياً ولكنها دولة دور أنني أتذكر مناقشة طويلة مع كيسنجر في نوفمبر ٧٢ طلب مني خلالها أن أكلمه عن مصر وحدها . وقلت له إنني لن أكلمك عن مصر وحدها لو تكلمت عن مصر وحدها فإنني سوف أتكلم عن مشكلة أن مصر هي دور وهذا الدور ليس مشكلة ولكنه قوة أن مصر الدور مصر المنتمية لما حولها . والقادرة على التفاعل معه والتأثير فيه طرف في الاستراتيجية العالمية وطرف في أزمة الطاقة وطرف في أزمة النقد العالمي . مصر الجغرافياً بلد فقير ومصر التاريخ بلد فادح الغنى وهكذا فإنني

أطالب بإعادة دراسة الدور المصري وكيف نستعيد له قوته وحيويته . . إن هناك قيوداً كثيرة فرضت على الدور المصري ولا بد أن تخرج مصر من هذه القيود سواء لمواجهة الاتفاق الاستراتيجي أو لمواجهة ما بعده وهو أهم منه وأنا لا أقول إطلاقاً بالدخول في صدام في شأنه مع الولايات المتحدة فهناك ظروف وهناك روادع لكننا يجب أن ندرس . في مواجهة هذا الاتفاق الآن في مصر يوجد منطقتان : منطق يقول بالصدام أو بالضبط وهذا موقف لا يمكن الاستجابة له ببساطة وهناك منطق آخر يتراوح بين حلم أن نطلب المساواة بإسرائيل في الميزات التي يعطيها لها الاتفاق الاستراتيجي وأظن أن طلب مثل هذا لا يجدي ثم يصل هذا المنطق إلى حد القول فإننا أمام أمر واقع ولست من أنصار قبول الأمر الواقع كما هو.

● المصور: أرجو أن توضح لنا على ضوء ما ذكرته من أن الصدام خاطيء وقبول الأمر الواقع خاطيء أيضاً فما هي إذن هوامش الاستجابة؟

■ هيكلم: هذا موضوع لا يستطيع أحد أن يجيب عليه وحده ومع ذلك فإنني أعتقد أن أول هامش للحركة هو أن يدور حوار حقيقي في مصر نحاول من خلاله أن نتقصى أين هي مصلحة مصر؟ وأين هو أمن مصر؟ أول هامش أن نحدد لمصر خطوط استراتيجية حقيقية لا تمثل اجتهاد رجل واحد وإنما تتعمق بالمناقشة الحرة لكي تصبح قناعة أمة مع الأسف الشديد لا تستطيع أن تبدأ إلا من نقطة بداية حقيقية لا تستطيع أن تبدأ إلا بتحديد استراتيجية لمصر يملها الجغرافيا والتاريخ الثوابت في حياة أي أمة وليس أهواء أشخاص أو نواياهم مهما حسنت.

● المصور: نحن نشكر الأستاذ محمد حسنين هيكلم على الوقت والجهد الذي بذله معنا.

■ هيكلم: أنا الذي أشكركم.

## هذه مرحلة «نفي» عبد الناصر

---

في ذكرى ميلاد الزعيم العربي الراحل جمال عبد الناصر التقت «الخليج» الاستاذ محمد حسنين هيكل، فبدأ الحديث من الواقع العربي الراهن، الميثوس منه، إلى تجربة عبد الناصر، خلال الثلاثين سنة من سلطة ومبادئ ثورة ٢٣ يوليو المجيدة.

الأستاذ هيكل الذي خبير التجربة الناصرية بتفاصيلها، وكلياتها أيضاً وبأسلوبه الصحفي - الأدبي الثر، حدد بوضوح ودقة بالغتين، مرحلة جديدة في حياة مصر، وفي حياة الأمة العربية، هي مرحلة: نفي الناصرية.

● سؤال: صار الواقع العربي من حولنا حالة ميثوس منها وربما يائسة، فعلى حين يستأسد اعداؤه ويواصلون غطرستهم تتفكك اوصال الوطن العربي إلى درجة الانحلال والافتتال. وتبدو كل القضايا القومية معلقة مستعصية على الحل.

وتجيء ذكرى ميلاد القائد المعلم المناضل جمال عبد الناصر فنحاول أن نرى هذا الواقع المتردي على ضوء الرجل الذي شهد معه هذا الواقع مرحلة صعوده التاريخي العظيم.

ويكون هذا الحوار مع اقرب الذين عملوا مع عبد الناصر وشاركوه الحوار في سنوات الصعود. ماذا يقول في سنوات التردى هذه؟ وترى لو أن عبد الناصر يواجه هذا الواقع الآن كيف كان يتعامل معه؟ أو ما هو الموقف الناصري من هذا الواقع كما يراه واحد من أكثر ممن عملوا مع عبد الناصر اقتراباً منه؟.. حملنا إليه هذا السؤال العريض واسئلة أخرى وكان هذا الحوار مع الاستاذ الكبير محمد حسنين هيكل.

■ هيكل: إن أول ما نستطيع تأكيده باطمئنان هو ان تجربة عبد الناصر قد اثبتت دور الفرد في التاريخ. هناك مقولتان احدهما أن الفرد هو نتاج للظروف والأخرى تقول بأن الفرد قادر على تغيير الظروف وفي تصوري ان الحقيقة هي وسط بين هاتين المقولتين. فالظروف تساعد على ظهور دور الفرد ولكن الفرد يقوم بدور رئيسي في التأثير على الظروف خاصة في الشعوب والأمم التي تغيب فيها المؤسسات.

إن نظرة على ما حدث في الوطن العربي بعد غياب عبد الناصر تكفي لأن يصاب الانسان بالذهول، لأن ما حدث خلال هذه الفترة التي تمتد ثلاثة عشر عاماً

تقريباً منذ غياب عبد الناصر الفرد عام ١٩٧٠ ، والتي تمتد لعشر سنوات منذ غياب تأثير عبد الناصر على القرار في مصر الذي استمر بعد رحيله حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣ . إنني اعتقد أن عصر عبد الناصر قد توقف بانتهاء حرب أكتوبر فقد بنى عبد الناصر من الأوضاع السياسية والاجتماعية ومن القوى الفاعلة والمؤثرة ما كفل الاستمرار بعده حتى تحقق هدف كان عبد الناصر يضعه في مكان الصدارة من أولوياته وهو مواجهة العدوان أو ما أسماه «ازالة آثار العدوان» . ولم يكن يمكن لأي أحد اتى من بعده أن يغير شيئاً في هذا الاتجاه . فأنور السادات لم يكن يملك ذلك ليس فقط بسبب اليقظة الشعبية ، وأن التجربة كانت بعد حية وصوت عبد الناصر يرن في الاسماع والأذهان ، ولكن أيضاً لأن عبد الناصر بنى قوى فاعلة مثل القوات المسلحة المصرية التي كان توجهها الواحد والوحيد هو قتال العدو وتصفية عدوانه . وإلا تقاتل هذه القوات فمعناه أن تترد إلى القاهرة وتغير الأوضاع داخلها . فقرار القتال في اعتقادي كان قراراً مفروضاً على أي خليفة لعبد الناصر بحكم الأوضاع الدافعة باتجاه القتال والتي بناها عبد الناصر بنفسه . ولعل الاختيار الوحيد الذي كان متاحاً للسادات هو اختيار التوقيت لكنه ، لم يكن حراً في أكثر من ذلك .

فالوجود الفعلي لعبد الناصر كانسان انتهى في ١٩٧٠ لكن تأثيره المباشر على اتخاذ القرار في مصر انتهى بنهاية حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، ولا أقول تأثيره غير المباشر (الفكري والسياسي والعام) لأن هذا التأثير لا يمكن أن يزول . لقد اعطت حرب أكتوبر شرعية جديدة استغلها السادات لتغيير الأوضاع طبقاً لتصوراته وتلك قضية أخرى .

إذا نظرنا إلى حجم التغيرات أو حجم التغيرات إلى أسوأ - للأسف - منذ أن اختفى عبد الناصر الرجل بحياته وبتأثيره على اتخاذ القرار خلال العشر سنوات من نهاية ١٩٧٣ أو بداية ١٩٧٤ حتى الآن في بداية ١٩٨٤ لاكتشفنا مدى التردى الذي هوت إليه الأوضاع العربية .

ولا توجد شهادة على دور الفرد في التاريخ أوضح من هذه الشهادة ولا أصدق فخلال هذا العقد لم تفقد الأمة العربية شيئاً من مصادر قوتها بل أكتسبت مصادر قوة جديدة أهمها البترول ، لكنها خسرت فرداً واحداً هو «عبد الناصر» فتغيرت الصورة

العربية على هذا النحو المؤسف. إنني أتذكر تعبيراً قاله «أبو اياد» بعد رحيل عبد الناصر بسنتين أو ثلاث كنا نتمشى معاً وتبادل الحوار حين اطرق قليلاً ثم قال لي: «من سنن هذه الحياة أن كل مصيبة يقل تأثيرها مع مرور الأيام ما عدا مصيبة واحدة تكبر كل يوم هي مصيبة فقد عبد الناصر». وقد كان على حق.

إذا خرجنا من هذه المقدمات إلى سؤالك عن ماذا يفعل عبد الناصر لو أنه واجه هذا الواقع العربي الذي نشهده الآن؟ وكيف نتعامل مع هذا الواقع ناصرياً؟

واعتقد أن سؤالك ينطوي على خطأ «رياضي» لأنك تجمع ما لا يجمع مع بعضه، أو تطرح ما لا يطرح مع بعضه. قواعد علم الحساب تقول: لا يصح، لا بد من جمع المتشابهات والمشكلة في السؤال عن «كيف يواجه عبد الناصر هذا الواقع؟» تأتي من أن عبد الناصر لم يكن ممكناً أن يواجه الواقع الراهن لأنه لو أن عبد الناصر كان موجوداً ما كان ممكناً للواقع العربي أن يتدهور حتى يصل إلى هذا الحال. هذا الحال تدهور في غياب عبد الناصر. كل ما نتحدث عنه من ملامح للواقع العربي الآن: العودة الأمريكية إلى المنطقة بهذه الطريقة، التحلل العربي، الخلل في التوازن الاستراتيجي والدولي، الخلل في مجموعة القيم، شبه الهيمنة الاسرائيلية - كل هذا لم يكن ليحدث لو أن عبد الناصر كان موجوداً والحركة العامة التي كان يقودها قائمة لأن فرداً وحده لا يحقق شيئاً، وعندما اتحدث عن دور الفرد في التاريخ فإنني أعني قدرة الفرد على تفاعله مع جماهيره وتعبيره عنها، أي تعبيره عن التاريخ. . . لكن دوره الفردي في الهواء الطلق لا يحقق شيئاً. فلو أن عبد الناصر كان موجوداً ويقود التيار الذي عبر عنه، سواء كان تيار اجماع أو أغلبية في الوطن العربي أو التيار الأكثر تأثيراً، لما كان ممكناً أن يحدث ما تراه من حولك ولهذا فلو كان السؤال من باب التمني أو التفجع فلا بأس أما إذا كان السؤال سؤالاً سياسياً فهو غير مطروح لأنني ازعم أن الوضع الذي يواجهه الوطن العربي الآن هو أسوأ مما واجهه عام ١٩٥٢ عندما قامت الثورة بقيادة عبد الناصر.

قبل ثورة ٢٣ يوليو كان الوطن العربي دولاً مستعمرة تواجه عدواً استعماريّاً واضحاً يحاول السيطرة: فرنسا في المغرب العربي وذيولها في المشرق، انجلترا في مصر والمشرق العربي. النفوذ الأمريكي يعزز الأباطوريتين ويحاول أن



يتسلل ليسيطر على ما تعجز الامبراطوريتان الكبيرتان عن السيطرة عليه . في مواجهة هذا الواقع تبلورت حركة شعبية نامية، تطالب بالاستقلال . وكانت الأمة العربية في اعقاب الحرب العالمية الثانية - بما أحدثته من يقظة وفوران - تمتلك قواها فوارة ومتفاعلة وإن لم تعثر على اداة لحشد قواها وتمتلك هدفها واضحاً وإن لم تجد السبيل إلى تحقيقه وتمتلك أملها في أن تعثر على من يقود طريقها لتحقيق الحلم لكنها لم تجد القيادة . كل هذه الاسئلة والاحتمالات والمجهولات وجدت اجابتها في عبد الناصر .

وتفجرت ثورته . . والباقي نعرفه جميعاً ما المشكلة الآن؟

المشكلة أننا في حين كنا نواجه عام ١٩٥٢ تحديات خارجية فإننا في عام ١٩٨٤ نواجه تحدياتنا من الداخل . . نواجه ازمة تحلل امة من داخلها .

قبل ١٩٥٢ كان لدينا تشوق إلى اهداف تبدو صعبة المنال . وفي عام ١٩٨٤ لا يوجد لدينا تشوق وإنما تهاو وتهالك . قبل عام ١٩٥٢ كان الوطن العربي يشهد شبه شرعية لمعظم الأنظمة باعتبارها انظمة تحاول الحصول على الاستقلال . وكان الوطن العربي يشهد شبه هوية .

ثم جاء عبد الناصر بدوره التاريخي وبما أنجزه وباستجابته للأسئلة المطروحة على الأمة العربية فتمكن من تحقيق انجازات - ضمن ما حقق - حول شبه الشرعية إلى شرعية كاملة وحول شبه الهوية العربية المهزوزة إلى هوية كاملة .

وغياب عبد الناصر . . فما الذي نراه الآن؟ إنني أعتقد أننا الآن أمام نظم تفتقر معظمها إلى الشرعية فأنا لا أرى أي نوع من الشرعية يستند إلى اساس .

إنني اتصور، وأظن «ماكس فيبر» على حق - عندما يقول أن هناك ثلاثة انماط للشرعية في التاريخ :

النمط الأول: الشرعية التقليدية المعتمدة على الاساس الديني أو القبلي، وهي شرعية ابوية بشكل أو بآخر، عندما ننظر إلى الدول التي تمثل هذه الشرعية فإنني أعتقد أنه في عهد الملك عبد العزيز في السعودية كان يمكن القول بأن هذه الشرعية الأبوية بين الاسرة والقبيلة ومشروع الدولة وتدفع الثورة .

النمط الثاني للشرعية لدى «ماكس فيبر» هو شرعية الكاريزما، أو البطل التاريخي الذي يكتسب شرعيته من القدرة على الاحساس بمطالب الجماهير الواسعة والتعبير عنها، والقدرة على تنفيذها. شرعية الرجل التاريخي - أو الزعيم الكاريزمي - هذه غير قائمة في الوطن العربي الآن.

وبديهي أن النمط الثالث من الشرعية - وهو الشرعية الدستورية القانونية - غير قائم في الوطن العربي كله. فلا يستطيع أحد ان يدعيها وإذا ادعاها فلا يملك أن تصدق الجماهير ادعاءه.

عن الهوية، كانت هناك هوية عربية. . يقابلها في مصر بالتحديد ومصر فقط اشارة إلى هوية مصرية. . جاء عبد الناصر فحسم قضية الهوية ليس لمصر فقط وإنما للأمة العربية كلها كأمة واحدة.

الآن. . فإن اساسين رئيسيين - هما الشرعية والهوية - مفقدان. إن الشرعية حالة معنوية ولكنها اساس صلب لا غنى عنه لأي مجتمع، وهي أساس وجود النظام واستمراره. . إنها القبول الطوعي القائم على الاقتناع من قبل الجماهير للنظام وهي لا تتحقق بالقوة أو بالشرطة أو بالارهاب، وإنما بالقبول.

ولا تستطيع أن تواجه العالم بدون هوية. . بدون أن تقول من أنت. .

نصف الهوية الذي أكمله عبد الناصر وبلوره في هوية قومية عربية واحدة - ارتد الآن. ففي مصر نسمع من يقول مصر أولاً ومصر أخيراً، ومصر ثانياً ومصر ثالثاً، الخ. . وفي دول الخليج نمط مشابه. والهلال الخصيب ضائع بين تفاعلات لبنان والحرب العراقية الايرانية. وحتى في مجال التنظيم، فلم تعد الجامعة العربية كما كانت اطاراً رئيسياً واحداً يشمل دول الوطن العربي. الآن هناك مجلس لدول الخليج، وآخر للمغرب العربي بصدد أن يقوم، ومصر والسودان يصنعان شيئاً اسمه تكامل وادي النيل.

في ظل اهتزاز الشرعية وضياع الهوية، فنحن لا نعرف من نحن، من قبل كنا نهدف إلى الاستقلال، ثم جاء عبد الناصر فأعطى الاستقلال مضموناً اجتماعياً، وحدده وأكله واعطاه مضموناً أوسع بحركة عدم الانحياز، وكنا نستطيع أن نقول:

هذا ما نريد، الاستقلال والعدالة الاجتماعية والوحدة. اما الآن فحتى ما نريده ونهدف إليه لم يعد واضحاً أمامنا. بعضنا يريد الرخاء بمعنى الارصدة في البنوك. وبعضنا يريد السلام، بمعنى التنازل عن الحق. والبعض يؤكد على همومه الخاصة منفصلاً عن باقي الكيان الوطني والقومي.

عندما تسألني ماذا كان عبد الناصر يفعل لو واجه هذا الواقع؟ اقول أنه لم يكن ممكناً أن يوجد هذا الواقع في وجود عبد الناصر. هذا الواقع بهذه الصورة لم يواجهه عبد الناصر قط.

عندما تسأل كيف اتعامل مع هذا الواقع ناصرياً؟ فانني أكاد اقول أنه من الصعب أن تتعامل مع هذا الواقع الراهن ناصرياً أو وفقاً لمعايير ناصرية.

إنني اقول إننا في مرحلة «نفي الناصرية».

في الفلسفة وفي المنطق هناك الشيء ونفيه ثم نفي النفي.. أو الفرضية ونفي الفرضية ثم نفي النفي.

عبد الناصر كان فرضية طرحت نفسها على الواقع العربي. أقصد بعبد الناصر الفرد والجماهير التي تشعر معه بشرعيتها وبشرعيته وتتحق معه هويتها وهويته ويتحدد هدفها وهدفه. أي أقصد كل متكامل.

هذه الفرضية - الناصرية - شهدت بعد عبد الناصر مرحلة استهدفت نفيها.. نفي الناصرية. ولا زالت هذه المرحلة مستمرة وهي المرحلة التي انتجت هذه الصورة المتردية للواقع العربي. ولا بأس لدي من أن هذه المرحلة لا زالت مستمرة، لكنني أوقن أنها الآن في نهايتها وأن المرحلة الجديدة التي سيشهدها الوطن العربي - مرحلة نفي النفي - توشك أن تبدأ.

وليس معنى هذا أن كل ما تحقق في ظل عبد الناصر كان صحيحاً لكن التوجهات الاساسية لعبد الناصر كانت صحيحة، والدليل هو ما نشهده الآن. قد تكون هناك اخطاء في الممارسات هنا أو هناك، لكن المجرى الرئيسي لتوجهاته - والذي ينصب عليه الحكم - صحيح ولم يعد بحاجة إلى جدل أو نقاش.

الناصرية تواجه الآن قوى عديدة تحرص على نفيها، ولهذا فإن مرحلة النفي لم تزل مستمرة بسبب الطغيان الاسرائيلي وبسبب العودة الأمريكية إلى المنطقة واستمرار محاولتها لتحطيم عبد الناصر وبسبب الخلل الاجتماعي والطبقي والقيمي في الوطن العربي وبسبب الثروة أيضاً التي تدفقت على الأمة العربية، إنني أعتقد أن الثروة التي تدفقت علينا في السنوات العشر الأخيرة أكثر مما تدفق على كل الامبراطوريات العربية الأموية والعباسية، ومع هذا فنحن لم نفعل بهذه الثروة شيئاً لا امبراطورية ولا شبه امبراطورية ولا أي مشروع عربي، فقط ثروات عربية تندفق من حيث لا ندري ثم تتسرب إلى حيث لا ندري فلا صنعنا تراكمًا ولا استفدنا شيئاً، فقط طوفان من الثروة يغرق في طريقه قيم ومبادئ وأهداف.

هذه القوى - من أمريكا واسرائيليين وقوى مرتبطة بالثروة - هي التي تغذي الآن استمرار مرحلة النفي وهي التي تدفعها لأن هذا النفي للناصرية يخدم مصالحها ويحقق اطماعها.

إنني أعتقد أننا قريبون من نفي النفي. عندما تنظر إلى الخريطة السياسية العربية تجد أننا وصلنا إلى أوضاع إذا لم تكن هي النهاية فإنها مشارف النهاية. ثمة افلاس فكري وسياسي ومعنوي عام. لم يشهر أحد إفلاسه للآن. لأن الافلاس على هذا المستوى الاجتماعي ليس كافلاس الأفراد، وإنما هو حالة عجز عن مواجهة الأوضاع القائمة، وبالتالي يصبح واضحاً أن مرحلة بكاملها قد عجزت عن المواجهة وعن الحل، كما يعجز المدين عن سداد ديونه. ويصبح المصير الوحيد هو أن تعلن افلاسها وتتوارى لتبدأ مرحلة جديدة.

على سبيل المثال ننظر إلى ما يجري في مصر. لقد حاول النظام برئاسة السادات أن يهدم التجربة الناصرية. لم يقنع بنقد التجاوزات - وهذا مشروع - ولا بتصحيح بعض الأخطاء - وهذا مقبول - لكنه تجاوز ذلك إلى غير المشروع وغير المقبول، وهو الهدم في الاساس وتشويه كل انجازات ثورة يوليو، فكان طبيعياً أن يقول الناس أن ما قبل الثورة أفضل - في زمن الملك فاروق والباشوات والنبلاء والأمراء .. إلى آخره. . ثم جاء من ينادون بذلك، فيماذا يواجه النظام هؤلاء؟ هل بالحديث عن ثورة ٢٣ يوليو؟ كيف؟ - إن النظام على الأقل في اطار المرحلة الآنية

لا يستطيع أن يستخدم ثورة ٢٣ يوليو كسلاح في هذه المواجهة . لا يستطيع الحاضر أن يدفع عن نفسه غارة الماضي بأن يعود إلى ثورة يوليو لأنه هو الذي حاول كسر هذه الثورة، فكيف يجوز له أن يتمسح بها الآن؟ إن مؤدى ما قيل خلال مرحلة السادات عن الناصرية لا بد أن يؤدي - نظرياً - إلى عودة الوفد .

● سؤال: هذا يعني أن السادات هو الذي فرش الطريق أمام الوفد للعودة؟

■ هيكل: نظرياً على الأقل هذا صحيح . لقد مرت عشر سنوات كاملة من الهجوم على عبد الناصر وثورة يوليو، حيث نسب إليها كل ما يمكن من مصائب واخفاقات وكوارث، وتم خلالها تعميم صورة مشوهة عن ثورة يوليو ضد الحقيقة، وهي صورة زائفة لكنها علقت ببعض الأذهان ومارست تأثيرها .

إنني واحد من الذين أصابهم الجزع عندما سمعت الرئيس حسني مبارك مؤخراً ينقد عناصر اليسار، وقد يكون محقاً في نقده لها، ولا شك أن للياسر أخطاؤه مثل كل الاتجاهات . ولكن في هذا النقد قال الرئيس مبارك: «إنهم يريدون أن يعيدونا إلى عصر الانغلاق الذي أرجعنا للوراء مائة سنة . . !!» أي عصر انغلاق هو المقصود؟ أهو العصر الذي بنينا فيه السد العالي وانشأنا أضخم الصناعات التي يزورها الرئيس مبارك نفسه كل يوم وآخر؟ - إنني أولاً أختلف على أنه كان عصر انغلاق، ومع هذا فلو سلمت جديلاً أنه عصر انغلاق وأنه عاد بمصر مائة سنة للوراء، فإذن نعود إلى عصر اسرة محمد علي وتكون إذن هناك مشروعية لعودة الوفد .

إنني متأكد أن الرئيس مبارك قد لا يقصد ذلك، ومع هذا - وللأسف - فإن بعض الشعارات تزدت حتى أصبحت تقال تلقائياً . إن مثل هذا الشعار يضرب الرئيس مبارك نفسه . وإنني أثق أنه يقدر انجازات المرحلة الناصرية، وهو على أي حال واحد من الجيل الذي عاش وشهد هذه الانجازات، لكن تبلغ قوة حملة التأثير الدعائي أنه هو نفسه يردد مقولة مثل «عصر الانغلاق، الذي أرجعنا مائة سنة للوراء» في وصف التجربة الناصرية . كيف إذن يمكن للنظام الموجود حالياً أن يقول أنه وريث ٢٣ يوليو؟ كيف؟! وإذا كان يسقط مرحلة ثورة ٢٣ يوليو فمن العدل والانصاف أن ما كان قبلها يحق له أن يرجع .

على أي حال فإنني أعتقد أنه من ضمن مرحلة نفي الناصرية استخدام أسلوب «عودة إلى الماضي». فإذا كانت الأمور - كما تصور الدعاية المضادة - كلها خطأ من «السد العالي الذي جلب الخراب»!! إلى «التصنيع الذي لم يكن له ذراع!!» إلى «التعليم المجاني الذي اخل بكل شيء»!! إلى «الحرب ضد اسرائيل التي لم يكن لها مبرر»!! إلى «الدفاع عن النفس بسلاح سوفيتي الذي هو سيطرة سوفيتية»!! - إذا كانت الأمور كذلك إذن فلنرجع إلى ما كان قبل ثورة يوليو.

ولكنني في ظل كل هذا، ومع كل هذا أعتقد أن مرحلة النفي بكل ما يتفاعل فيها قد قاربت نهايتها وأنا سنشهد بالضرورة وقريباً مرحلة نفي النفي.

● سؤال: أود أن أوضح أنني عندما طرحت السؤال الاساسي في هذا الحوار حول ماذا يمكن أن يكون موقف عبد الناصر من الواقع الراهن أو ما هو الموقف الناصري منه لم أكن أعني وجود وموقف عبد الناصر بقدر ما عانيت وجود وموقف التيار الناصري المستمر بعد غيابه؟ وأنتي اتفق على أنه لو كان عبد الناصر موجوداً ما وصل الواقع إلى هذه المرحلة نتيجة غيابه ونتيجة حركة القوى التي لها مصلحة في نفيه وهي أمريكا والصهيونية والمربطون بالثروة، فإذا كنا الآن - كما تفضلتم بالشرح - في نهاية مرحلة نفي الناصرية. فهل مرحلة نفي النفي القادمة كما تراها هي مرحلة ناصرية بالضرورة؟

■ هيكل: إن مسألة الفرضية ونفيها ثم نفي النفي هي مسألة طبيعية في منطق التاريخ ومجراه. لقد جاء عبد الناصر وطرح فرضيات معينة وكان له من القوة والتأثير على الجماهير والارتباط بها ما جعل هذه المقولات التي طرحها تطبق ربما دون أن تناقش بقدر كاف.

وبالتالي فإن كل الجيوب التي لم تناقش والتي لها مصلحة مضادة استطاعت بعد رحيله أن تخلق جواً من الضباب حول التفكير العربي العام، فأصبحت هناك حيرة لدى الجمهور العربي فضلاً عن محاولة النفي المتعمدة. لكن التاريخ في النهاية يؤكد نفسه.

● سؤال: إذن فالأمر سيكون في النهاية عودة الأمة العربية إلى المقولات التي طرحها عبد الناصر؟

■ هيكل: إنني ضد التجميد الذي يقوله بعض الشباب الناصري. انتم تقولون «إذن هي عودة». العودة في حد ذاتها أنا اعترض عليها لأنه لا شيء يعود إلى الوراء، هذا ضد التاريخ.

لدينا المقولات الأساسية لجمال عبد الناصر، وهي مقولات تعبر عن مصالح الأمة العربية وأهدافها، وليست اختراعاً لجمال عبد الناصر. هذه المقولات الأساسية هي: الاستقلال الوطني أو القومي للأمة العربية وليس استقلال شعب من شعوبها، ولو كانت المسألة استقلال مصر وحدها لفتح عبد الناصر بما حققه من استقلال كامل لمصر في ١٩٥٦، واستقلال اقتصادي كامل على المستوى القومي لأنه لا يمكن لقطر أن يحقق تنمية قطرية مكتملة بمفرده. توازن اجتماعي كامل على مستوى الأمة العربية كلها. وليس في مصر فقط. ولو كانت مبادئ عبد الناصر تستهدف مصر فقط لما تألب عليه الاستعمار والصهيونية واعداء من داخل الأمة العربية.

إذن فنحن أمام مقولات أساسية خمس في الناصرية:

- ١ - أمة عربية واحدة يجب أن تتوحد
- ٢ - استقلال سياسي كامل لهذه الأمة
- ٣ - استقلال اقتصادي كامل لهذه الأمة.
- ٤ - توازن اجتماعي في هذه الأمة.
- ٥ - مشاركة حرة فعالة من هذه الأمة في قضايا العالم الذي نعيش فيه لأننا جزء من هذا العالم تتفاعل معه في قضايا التحرر والسلام والحرب ولا يمكن أن ننزل عنه.

هذه الاسس الناصرية يمكن أن تندرج تحتها كثير من القضايا الفرعية. وهذه الاسس ليست اختراعاً ناصرياً ولكنها خلاصة مطالب واحتياجات ومشاعر وآمال أمة. وقيمة عبد الناصر أنه أحسها وعبر عنها وبلورها وتحرك من أجل انجازها بقوة.

شدت أكبر قدر ممكن من قوى الأمة. وقد انجز عبد الناصر كل هذا في مناخ معين ومن نقطة بداية معينة.

عندما تسأل هل مرحلة نفي النفي هي عودة إلى ما كان؟ أقول لا، ليست عودة إلى ما كان لأن نقطة البداية مختلفة، فلن تكون ١٩٥٢، ستكون لا أعرف سنة كم، ربما ١٩٩٠، أي بعد بداية تجربة عبد الناصر بنصف قرن إذن أنت أمام نقطة بداية مختلفة، أمام أوضاع وتوازنات ومناخ اقليمي ودولي مختلف. إذن ستكون هناك المبادئ الأساسية، وهي ثوابت أملتتها ضرورات التاريخ والجغرافيا وآمال الشعوب وستكون بحاجة إلى تعبيرات جديدة عنها لكي تعبر عن نفس الاسس وليس عن غيرها. إذن فلن تكون عودة لما فات وإنما استخلاص كامل للاسس التي عبر عنها وبلورها وناضل من أجل تحقيقها عبد الناصر، ويبقى التعبير عنها - عندما تحين لحظة التعبير عنها - مختلفاً بقدر ما يتسق مع نقطة البداية المختلفة والمناخ الاقليمي والدولي المختلف.

● سؤال: في مصر الآن حزب الوفد الجديد، وهو تعبير عن مرحلة تجاوزها عبد الناصر - والحزب الوطني، ولا يمكن القول أنه يعبر عن فكر وثورة عبد الناصر...؟

■ هيكل:

الحزب الوطني تعبير عن محاولة هدم ثورة يوليو والناصرية، ثم محاولة التمسح بهما.

● سؤال: كيف نفيمه إذن؟

■ هيكل: الحزب الوطني - مع تقديري - هو جزء من محاولة نفي عبد الناصر، وهو حزب أنور السادات... باختصار هو حزب تجربة السادات... ولا يمكن لأحد أن يقنعني بأنه حزب ثورة ٢٣ يوليو.

ولقد كنت واحداً من الذين لم يتحمسوا لانضمام الرئيس مبارك للحزب، ولا أزال اعتبره في الواقع غير منضم للحزب الوطني لأنه لا يمثل ممارسات هذا الحزب. فهو رجل يحاول، وقد لا اتفق مع بعض ما يقوله، وقد ذكرت لك منها تعبيره عن الانغلاق، لكنه في ممارسات أخرى أراه صادقاً مع سياق الحوادث، ومع سياق التاريخ، وأنا أقبل منه هذا، ولا أريد منه أن يكون ناصرياً وإنما أريده



مصرياً قومياً عربياً معبراً و مترجماً عن هذه المرحلة ولا أريد ما هو أكثر. وقد اتفق ويتفق غيري معه في بعض ما يقول، وقد اختلف ويختلف غيري معه في بعض ما يقول، لكنني أعتقد أن هناك مسافة بينه وبين الحزب الوطني وأنه انضم إليه لضرورات سياسية ولكنني أعتقد أن الحزب الوطني لا يمثل ولا يمكن تاريخياً أن يكون أي شيء إلا حزب أنور السادات.

● سؤال: في ظل حزب السادات، وحزب معارضة قوي هو الوفد..

■ هيكل: أنا أرحب بحزب الوفد.. وقد يدهشك أنني فعلاً مرحب بحزب الوفد.. لماذا؟ إن الوفد لا يعبر عن آرائي، لكنني أعتقد أن ظهور الوفد سوف يؤدي إلى حد ما إلى كسر الحلقة المفرغة التي يدور فيها البعض بعد ما توهموا امكانية كسره وما يتوهموه الآن من امكانية ترميمه..

هؤلاء الذين يقولون الآن «عبد الناصر» ويقولون «نحن حزب ٢٣ يوليو».. هذا غير صحيح ليسوا حزب ٢٣ يوليو.. ما يريدون كسره فليكسروه، والترميم لا يجدي في السياسة وفي التاريخ.. فليثبت هؤلاء على موقفهم ويطرحوا أنفسهم باختصار ووضوح على أنهم يمثلون أنور السادات والانفتاح، هذا هو الحزب الوطني.. فلتكن لديه الجرأة أن يقول «أنا أمثل هذا» وانتهى الموضوع ولا علاقة له بـ ٢٣ يوليو.

إنني أقول أن الوفد يكسر هذه الأوهام ويعيدنا إلى صراع سياسي حقيقي تتحدد فيه الأشياء بمسمياتها، وكل مسمى يأخذ اسمه الحقيقي دون تمويه وأنا أريد أن يتحرك الوفد وينشط ويهاجم تجربة عبد الناصر، أوافق على هذا عندما يكون هناك حوار حقيقي يكون هذا أفضل. إنني أعتقد أن الوفد في الاطار المصري هو محاولة حقيقية منظمة لثني عبد الناصر كأساس طبقي وفكري. وقد أرى أن التاريخ ليس مع الوفد، ولكنني سياسياً أرى أن وجوده أكثر صحة من التمويه والتمسح. فالميزة في وجود الوفد أن قواعد اللعبة السياسية التي سادت لعشر سنوات مضت من تمويه ودهان واخفاء ستنتهي فليتحدث المضادون لعبد الناصر بوضوح - سواء من الوفد أو من حزب السادات - ويطرحوا كل القضايا. وفي مواجهتهم فلتكلم كل

الأطراف، وليحكم الناس، وبالتالي فإنني أعتقد أن فصلاً جديداً من التاريخ السياسي سيبدأ مع عودة الوفد. وستكون ثمة مناقشة حقيقية. ولا أعتقد أن الحزب الوطني سيؤدي دوراً حقيقياً في هذا النقاش لصالح ثورة يوليو والنصرية. ولكن الضرورة ستطرح على الملتزمين بشورة ٢٣ يوليو أن يدخلوا هذا النقاش وي طرحوا رؤيتهم وآراءهم.

● سؤال: هل ترى في ظل هذا أن ثمة منفذاً لوجود حزب ناصري؟

■ هيكل: إنني شخصياً أؤمن بأن الكاتب يشعر ويعبر ويتخذ موقفه وفقاً لمواقف تشكل فكره وفهمه.. ولكنني أعتقد أن استقلال الكاتب هام، ولهذا فهو قد يتعاطف ويؤيد ولكنه لا ينظم ولا ينضم لأحزاب. وفي رأيي فإن الخيارات الناصرية أكبر بكثير من حزب ناصري، قد يحلم البعض من المتحمسين بحزب ناصري.. فليكن.. ومع هذا فأنا أقول أن وقته لم يحن حتى الآن.

لكنني أعتقد أن الحزب الناصري لن يولد إلا من خلال نقاش حقيقي في عملية تكملة نفي الناصرية بحيث يحاول أن يحقق نفي النفي.. لكن هذا سيتم من الشارع وربما من السجون.. وهذا يعني أن الحزب الناصري سيحتاج إلى نضال حقيقي. من سيقوم بهذا؟ لا أعلم.. لكنني أعتقد أنه بدون هذا لن يقوم حزب ناصري ذو أثر.

وإلى أن يكون التوقيت ملائماً لقيام حزب ناصري، فإنني أكاد أجازف بالقول أن مهمة الناصريين تبقى هي الدرس والدعوة.

● سؤال: داخل هذا المناخ - أين تقدر أن موقع الجماهير من عبد الناصر

الآن؟

■ هيكل: لا بد أن اسلم بأن ضباباً كثيراً قد أحاط بعبد الناصر خلال الحملة الشرسة ضده.. ولكنني مع هذا وإن كنت أعتقد أنه لا أحد يستطيع أن يتحدث عن الجماهير اللهم إلا في حدود تجربته ورؤيته أقول أن رؤيتي إذا كانت صادقة فإن جمال عبد الناصر لا زال موجوداً في عمق احساس الناس وضميرهم.. في

التساؤلات العادية التي يطرحها الانسان عندما يقول لقد كنت في ١٩٦٧ أعيش في وضع أفضل من الآن اسعار أقل وكنا نبني السد العالي ونحارب عدونا. . في انطباعات الانسان عندما يسافر في الطريق الصحراوي يرى الخضرة من الذي عمر هذه الأرض؟ عندما يسافر من الصعيد فيرى السد العالي ومجتمعات المصانع من بناها؟ هذه شواهد حية. . واعتقد أن عبد الناصر حي في وجدان الشعب ولكن ثمة ضباب لأن الحملة المكثفة ضد عبد الناصر لم تبق ولم تذر والكارثة الكبرى أن القوة الاساسية فيها كانت من داخل النظام الناصري فعبد الناصر قبل أن يموت إثمن أنور السادات فإذا بالمؤتمن نفسه يقود الحملة على الناصرية وإذا جهاز الدولة والاعلام مسخر لعشر سنين للطعن في كل شيء إلى جوار القوى الخارجية التي شاركت في هذه الحملة. وعلى أي حال فإن عبد الناصر لم يتفرد في التاريخ بمثل هذا الهجوم إن كل من انجز انجازاً تاريخياً ضخماً تعرض لمثل هذه الظروف حتى تكشف الأمر في النهاية. ولا شك أن الشعب بحسه ووجدانه وبتجربته سيحسم الأمر لصالح عبد الناصر.

وفي الظروف الحالية فإن ميزة الوفد هو أنه بوجوده سيدعو إلى ضرورة كشف الحقائق واعتقد أن الرئيس مبارك شخصياً وبصرف النظر عن الحزب الوطني سيجد نفسه يتحدث ويقول للناس ماذا حدث وهذا أمر طبيعي. فهو- الرئيس مبارك - كان اليوم في زيارة لمجمع الألمونيوم بنجع حمادي. . من الذي بنى هذا المجمع؟ وبنى معه مجمع الفوسفات ومجمع الحديد والصلب لقد انشؤا معاً في عصر عبد الناصر، وبعد ١٩٦٧. كما أكملنا السد العالي بعد ١٩٦٧. إن الشعب سيرى بنفسه وسيسمع واتصور أن الرئيس مبارك نفسه سيقوم بهذا الدور وسيقول وسيعلم الناس أن الثلاثين سنة الماضية أو العشرين سنة الأولى منها لم تكن تأخراً وانغلاقاً ولم تعدنا للوراء مائة عام. ولكن قوة الدعاية وقوة العبارات المصكوكة تؤثر حتى أن الرئيس مبارك بموقعه وهو يواجه ما يواجهه يقول الانغلاق يرجعنا مائة سنة إنه بهذا سحب الشرعية التي يقف عليها لأنها ليست شرعية أبوية وليست شرعية قانونية إنما هي شرعية الانجازات التي تحققت فإذا كان عصر عبد الناصر الذي حقق هذه الانجازات قد عاد بالبلد إلى الوراء فإنه بهذا يسحب الشرعية من تحت اقدام النظام كله وليس من تحت قدمي أنا.

● سؤال: كان وقوف عبد الناصر ضد الكيان الصهيوني ونضاله من أجل الحق العربي في فلسطين ومن أجل قوة منظمة التحرير الفلسطينية وتمكينها من ممارسة دورها النضالي أحد مرتكزات فكره وممارسته . والآن تشهد الساحة الفلسطينية تغيرات عديدة . . كيف يرى الاستاذ هيكل هذه التغيرات وما رأيه في آخر تطوراتها وبخاصة زيارة السيد ياسر عرفات إلى القاهرة؟

■ هيكل: الساحة الفلسطينية طوال عمرها على الأقل من عام ١٩٤٨ لم تكن ساحة مستقلة . ومنظمة التحرير نفسها تعلم أنها كانت غالباً ما تتحرك على هامش الاختلافات والاتفاقات بين انظمة عربية مختلفة، إنها ثورة لأول مرة في التاريخ تواجه محاولة فصل القيادة عن الوطن وداخل الوطن محاولة فصل الشعب عن أرضه . فالثورة الفلسطينية إذن منذ تحركت لم يكن لها حرية وضع استراتيجية . إن الدول المستقلة ذات السيادة تستطيع بالكاد أن تضع استراتيجية مستقلة فما بالك بالثورة الفلسطينية في ظل أوضاعها . إذا كانت هذه الثورة تعيش بين الأردن ولبنان وسوريا في أحسن الأحوال إذن هي محكومة بأوضاع هذه الأقطار الثلاثة . وقد خرجت من هذه الأقطار فأين هو القرار المستقل؟ القرار يعني أنه يقبل التطبيق في مكان ما وليس هناك أرض . اللهم إلا أرض فلسطين المحتلة ولا يوجد من بين الشعب فيها وبين قيادته في المنظمة إلا رباط معنوي محكوم بالضغوط التي يتعرض لها هذا الشعب تحت الاحتلال .

إذن منظمة التحرير تعيش على هامش استراتيجيات أو سياسات عربية وتتحرك في الهامش الخارجي لاتفاق النظم أو اختلافها في اضعف وضع الآن .

واعتقد أن هذا الضعف هو انعكاس للأوضاع العربية كلها وهو بالدرجة الأولى انعكاس لخروج مصر من المعادلة العربية مما سمح لكل هذا أن يحدث .

زيارة عرفات للقاهرة هي في اعتقادي أولاً خطوة طيبة وجيدة . بغض النظر عن أي شيء . قد يقول غيري وأقول معهم أن توقيتها يمكن مناقشته ، ولكنني أعتقد أن الرمز في هذه الزيارة كان أهم من كل شيء . لقد كانت مصر تحلم بعودتها إلى الوطن العربي وهو اطار قوتها الحقيقية .

والثورة الفلسطينية تحلم بمصر الدرع العربي القوي. وفي لحظة مصادفة تجاور الاثنان فالتقيا. فهي تعبير عاطفي بالرمز. لكنه ككل حدث تنتج عنه تفاعلات وتداعيات.

هذه الزيارة لم تأت من فراغ. فياسر عرفات يضطر للخروج من لبنان وسوريا ويشعر أكثر فأكثر بقيمة مصر. ومصر من ناحية أخرى لم تستقبل عرفات من فراغ فمن الواضح أن كامب ديفيد قد فشلت وأن التطبيع قد فشل وأن الحل الشامل لم يحل على المنطقة ثم فوق كل ذلك جاء الاتفاق الاستراتيجي الأمريكي الاسرائيلي. وكان طبيعياً في ظل هذا أن يكون هناك تشوق للقاء بين الطرفين، فتم هذا اللقاء الذي اسميه «لقاء عابر».

البعض يشبهون هذه الزيارة بزيارة السادات للقدس. لكنني أرى أن زيارة عرفات للقاهرة هي الرد أو النفي لزيارة القدس. إن زيارة السادات للقدس صنعها التلفزيون. التلفزيون صنع الأحداث. زيارة القاهرة حدث وقع بالمصادفة فصنع القيمة الاخبارية التي غطاها التلفزيون.

أنا لا أعطي لهذه الزيارة الآن كثيراً من الاهتمام ولا أعلق عليها امكانية حدوث تطور هام في القضية الفلسطينية. لن يفعل أحد شيئاً من الأطراف العربية والدولية في ظل هذا الواقع.

إنني أو من أنه لن تتغير الأوضاع الراهنة ولن تشهد تطوراً لصالحنا إلا إذا تم إعادة بناء موازين القوى في الوطن العربي وأي شيء غير هذا لن يكون إلا طلب احسان الآخرين. ولا أحد يقدم إحساناً.

من مميزات زيارة عرفات أنها حلقة رمزية في سلسلة طويلة، نحن أمام صدام تاريخي بيننا وبين اسرائيل له دواعيه الحقيقية سياسية وجغرافية واقتصادية واجتماعية. وانسانية الخ. ولا يصح أن يردد أحد أن المشكلة ٩٠٪ أو ٧٠٪ حاجز نفسي كل هذا هراء. لا سلام جاء ولا رخاء جاء. في هذا المناخ تأتي زيارة عرفات لتحدث بعض التداعيات. منها أن تزداد شكوك اسرائيل أن مصر عائدة إلى أمتها العربية. اين نقطة اللقاء بين مصر والأمة العربية لا أعلم. إن لقاء عرفات

ومبارك أشبه بقطارين يسير كل منهما في اتجاه مضاد للآخر وفي نقطة على شريطيهما المتوازيين التقيا فتبادل الركاب التحية. لكن في نقطة قادمة لا محالة سوف تنتهي كل خطوط القطارات العربية إلى محطة واحدة. لا بد أن يحدث هذا.

● سؤال: ما رأيك في القول بأن هذه الزيارة ستفضي إلى جر ياسر عرفات إلى تسوية في إطار الخيار الأردني والمظلة الأمريكية؟

■ هيكل: لن تكون هناك تسوية. ان التسوية الوحيدة المسموح بها في ظل موازين القوى الحالية هي شيء من الحكم المحلي في الضفة وغزة!! أي نوع من الادارة الذاتية. أما إذا كان الأمر يتعلق بالأرض والسيادة فلا. لن تكون هناك أي تسوية ولن يكون هناك امكانية لأي شيء من أي نوع ما لم تتغير موازين القوى الحالية.

فإلى أين يجر ياسر عرفات؟! إذا كانت مصر لا تستطيع أن تسترد طابا رغم المعاهدة والسلام - إن أحداً لا يستطيع أن يفرض تسوية على اسرائيل . . لا الملك حسين ببرلمان أو بدون برلمان ، ولا مصر بكامب ديفيد أو بشيء سواها. ولا أحد يستطيع أن يغير ما يجري الآن في الضفة وغزة إلا بتغيير موازين القوى العربية.

● سؤال أخير عن الكتاب الذي يعده الاستاذ هيكل عن عبد الناصر.

■ هيكل: أنا أعمل الآن في تأليف كتابين في نفس الوقت أحدهما هو «ظهور وتراجع القوة العربية» باللغة الانجليزية. لكنه كتاب صعب جداً بحكم تعقد وتدهور الواقع العربي وأظنني سوف أوجل نشره الآن حتى لا يعطي صورة سوداء لهذا الواقع.

أما الآخر فهو عن معركة عبد الناصر الكبرى من ٥٦ إلى ١٩٦٧ وسيكون من ثلاث أجزاء رأيت أن ابدأ بكتابتها لأن هذه المرحلة من نضال عبد الناصر لا زالت معنا بقضاياها وأفكارها وهواجسها وتحدياتها وهي الفترة محل النقاش والجدل من حول عبد الناصر وتجربته. . وسوف أكمل هذه الأجزاء بجزء يسبقها يستعرض النشأة والثورة حتى ١٩٥٦ وجزء يتلوها عن الفترة من ٦٧ إلى ١٩٧٣ وبهذا تكتمل خمسة أجزاء تشكل كتابي عن عبد الناصر.

## • صوتي لمن يبحث في ضمير شعب مصر

---

- لمن تعطي صوتك في الانتخابات؟  
كان ذلك السؤال الوحيد الذي وضع امام حسين هيكل . . . وكانت الاجابة ..  
صوتي لمن يبحث في ضمير الشعب المصري .  
صوتي لمن يزيل آثار العدوان النفسي الذي وقع على مصر .  
صوتي لمن يظهر الحقائق كاملة امام الشعب المصري .  
صوتي لمن يسترد صحة مصر النفسية .  
تحدث فيه عن الشعب المصري التائه بين الحقائق الضائعة .  
تشعب حديث .. الانتخابات وتفرع السى مشاكل مصر الاقتصادية ..  
والاجتماعية .. و .. كتاب التاريخ الذين يبحثون في سلال المهملات!

● سألت محمد حسنين هيكل ما هي المواصفات التي يجب أن تتوفر في القائمة التي سوف تعطى صوتك في الانتخابات القادمة؟

■ قال هيكل: البحث في ضمير مصر: بداية ارجوك أن تلاحظي أنك توجهين إليّ هذا السؤال وكل الاحزاب لم تعلن بعد قوائم مرشحيها ومعظمها لم يعلن بعد برامجه للانتخابات القادمة ولا يستطيع احد أن يحكم إلا بما يراه امامه وإذا فعلت ذلك فاخشى أن أقول لك أنني لا أرى حتى الآن وعلى أي ناحية ما يدعوني إلى الاطمئنان على مستقبل مصر. ومستقبل مصر كما اراه الآن معلق بمسألة قد تبدو امام بعض الناس غريبة واسمحي لي أن احاول شرحها. . هناك مشاكل اقتصادية واجتماعية وفكرية ضخمة تواجهها مصر ولكن هناك مشكلة تفوق كل المشاكل في ظني تعاني منها مصر، مشاكل الاقتصاد والاجتماع والفكر يمكن حلها بالجهد والتخطيط والزمن وتستطيع مصر أن تستعيد صحتها البدنية في وقت قليل لكن المشكلة الكبرى هي أن صحة مصر النفسية ليست على ما يرام. تستطيع أن تجد انساناً سليم البدن قوي العضلات لكنه نفسياً في أزمة ولا بد من حل ازمته النفسية وإلا فإن اي سلام بدون القوة والعضلات يصبح بلا فائدة. إذا كان هناك من يريد أن يؤدي خدمة لا تنسى لمصر فعليه الآن ان يبحث في ضميرها قبل أن يبحث في خزائنها وفي وجدانها وعقلها الباطن قبل أن يبحث أموال زراعتها وصناعاتها، مصر الآن تعاني حالة خلق جديدة، أقول خلق وهو تعبير مخفف لأنني لا أعتقد أن شعباً في العالم كله تعرض نفسياً لما تعرض له الشعب المصري في هذه الحقبة. تاهت منه معالم كل شيء وضاعت أمام كل الحدود، اختلط الحابل بالنابل وسادت حياة مصر



فوضى لا مثيل لها. لقد قيل في مصر ما لو قيل في أي بلد آخر لانهدت الأرض من تحت القائلين. ولكن مصر تبدو وكأنها لا تبالي، لا تتفعل ولا تتحرك لماذا هل فقدت شهيتها للحياة؟ لا أظن وتفسيرى الوحيد أن مصر فقدت ثقته في كل شيء وبنفسها أيضاً لأن ثقة اي كائن حي باشياء معينة هي أساس ثقته بنفسه وثقة أي كائن بنفسه تستند الى رواس راسخة عن معرفته بهويته وانتمائه لهذه الهوية إلى مجتمع اكبر منه يربطه مع غيره انسانياً ويحميه قبيلة، شعب، أمة، ومن فهمه لدوره ومن اطمئنانه لكفاءات وتجارب لديه حصلها بالعلم والتجارب وبالثقافة والحياة. من قدرته على تحقيق ذاته من خلال تفاعله وتعامله مع هذا كله معارفه وفهمه واطمئنانه وقدرته. وأنا واحد من الذين يعتقدون أن الأمة العربية كلها هوجمت لشعب مصر وأن شعب مصر هوجم لثقته بنفسه قبل اي شيء آخر واخشى أن تكون الهجمة قد نجحت فالشعب المصري الآن لا يعرف ما جرى له في تاريخه الحديث قبل الثورة وبعدها لا يعرف ماذا جرى لكفاحه لقيادته ولاقتصاده، لاوضاعه الاجتماعية لثقافته، ولا يعرف ماذا جرى لمبادئ أمن بها ولقيم وجهت حركته، بل حتى لاعمال عظيمة تصور أنه قام بها. نجحت الهجمة فيما اظن والشعب المصري لا يعرف الآن غالبية على الأقل اين هو؟ ماذا يراد منه؟ وماذا جرى وإلى أين أتجابه وفي سبيل أي غاية أو هدف؟ هل يمكن لشعب أو لأي كائن حي أن يمضي على طريق لا يعرف أين أوله وأين آخره ثم يقال له واصل سيرك، في اعتقادي مستحيل. إن العدوان النفسي على الشعب المصري كان أقوى من العدوان العسكري الذي هزمه هذا الشعب في السويس سنة ٥٦ وضياح الثقة بالنفس من هذا الشعب كان اخطر من ضياح النتائج السياسية لانتصاره العسكري في حرب أكتوبر. جراح الحروب العسكرية تندمل وتبرأ وجراح الحروب النفسية أكثر صعوبة لأنها اعمق وابعد فوراً. الجراح في الحالة الأولى قطوعاً في انسجة اللحم أو كسوراً في العظم وفي الحالة الثانية النفسية فإن الجراح تمزق أعماق الأعماق وليس ما يكفي الأربطة أو المراهم أو المضادات الحيوية. الشيء الوحيد الذي يعالج ويشفي هو ظهور الحقائق كاملة أمام أصحاب الحق فيها والحقائق كلها في حياة الشعب المصري ضائعة وهذه أفدح مصيبة يمكن أن تحل بشعب أو بكائن حي. العصر الملكي عرض أمام الشعب المصري كعصر فساد وانحلال وتبعية وليست هذه مشكلة عويصة لأن

الشعب المصري بعد ذلك ثار واسقطه، المشكلة الأكبر بعد ذلك عصر جمال عبد الناصر، عرض أمام الشعب المصري كعصر استبداد وطغيان وفشل. هذه مشكلة لأن الشعب المصري لم يثر ضده وإنما ظل ورأه حتى الوداع الأخير. ثم أن عصر أنور السادات عرض أمام الشعب المصري أيضاً كعصر تفريط وتبديد وفساد وإفساد وهذه مشكلة أخرى لأن أنور السادات قدم نفسه باعتباره استمرار لجمال عبد الناصر وفي الحقيقة فإنه لم يكن استمراراً وإنما تحول إلى نقيض ثم وصلت قضيته إلى نهايتها بعاصفة نار على المنصة.

ثم جاء عصر حسني مبارك ليحاول أن يكون عمليه توفيق بين السابقين أولاً عملية تحديد وتوصيف لطبيعة كل منهما ونهجه وهذه العملية لم تحدث وبدلاً منها تجري عملية انزال الستائر على ما كان بدعوى أن المستقبل أولى بالاهتمام ناسين ان المستقبل استمرار وأن الماضي بدايته وهكذا فإن الصلة بين الأثنين عضوية ومن هنا فإن محاولة التوفيق قد تتحول إلى عملية تزوير وأنا شخصياً لا أثق فيما تصنعه مستحضرات الاصباغ والألوان في الساسة. هذه مستحضرات قد تصلح للفن ولكنها لا تصلح لبناء مستقبل الأمم لا نستطيع أن نقنع انفسنا بأن ما فات مات والذي «نهب» «نهب» والذي بدد بدد والذي فرط فرط والذي كذب ما زال يكذب والضحية اصبح قاتلاً والقاتل ضحية كل هذه مستحيلات وفي النتيجة فإننا نرى أماننا مساحة سياسية عجيبة. الحزب الذي حاول هدم تمثال جمال عبد الناصر هو الذي يحاول الآن ترميم التمثال والجماعات التي سبقت أنور السادات إلى ما ذهب إليه هي التي تحاول الآن أن تتعد عن نقطة الوصول والقوى الاجتماعية التي غابت عشرات السنين تعود الى العمل الآن ومعها شهادة ميلاد جديدة تعطيها نسباً مختلفة ولقباً لم يكن لها في يوم من الأيام والذين كانوا ضد الشعب أصبحوا الآن فجأة معه والذين تحمسوا للاشتراكية هم الذين تحمسوا للانفتاح ثم راحوا متأخرين جداً وربما مضطربين جداً يتكلمون عن الفساد. والذين ايدوا كامب ديفيد هم الذين يعطون الناس الآن دروساً في الوطنية والالتزام القومي والعمل السياسي إذا كان هناك عمل سياسي بالمعنى الحقيقي كله فردي والتحالف شخصي بل إن القارئ اليومي لصحف الدولة يحار في فهم ما تنقله من أخبار وفيما تمثله او تدعوا اليه أو

تعارضه من آراء. والوقائع موضع الشك تقال اليوم لتنفذ غذاً والآراء كلها صارت شخصية لا علاقة لها بأي تصور مستقبلي عام، مهرجو الشعب وكل شعب، يحتاج إلى مهرجان للترفيه عنه اصبحوا الآن وعاظه بل أن كتاب التاريخ الجدد لا يكلفون انفسهم عناء البحث عن الوثائق في خزائن الوثائق وإنما ينقبون في سلال المهملات وتلك كلها كوارث لو نزلت بشعب لكانت واحدة منها تكفي لتفقدته توازنه ولتضييع بصره وبصيرته.

لا أظن أن أحداً يستطيع اقناعي وارجو ألا يكون مع ذلك من جانبي عناد بأن ما نراه حولنا من مظاهر انفراج ديمقراطي يمكن أن يكون بديلاً عن اليقين عن الانفراج الذي تصنعه الحقيقة. مظاهر الانفراج وهي في كل الأحوال تستحق التشجيع تبقى مع ظني ملاسبات ظرف سياسي معين جاءت به لحظة حساسة في موازين القوى الداخلية في مصر وما يؤثر على هذه الموازين، من هنا أو هناك لكن حركة الميزان ما زالت تتأرجح وفي ظل هذه اللحظة الحاسمة وحركة الموازين المتأرجحة فإن الفعل السياسي يبدو قلقاً وإلى درجة ادت حتى إلى تداخل بين السلطات وبصراحة على سبيل المثال فإنني رحبت كثيراً بعودة حزب الوفد ولكنني لم أرحب كثيراً لأن عودته جاءت عن طريق حكم قضائي، كنت أفضل أن تكون عودة هذا الحزب وغيره من التنظيمات التي تمثل القوى الاجتماعية المختلفة في مصر نتيجة لفعل سياسي وليس لحكم قضائي، وكذلك فقد اسعدني لابعدمدى أن يرفع العزل السياسي عن الاستاذ فؤاد سراج الدين ولكنني كنت افضل أن يكون رفع العزل نتيجة رؤيا سياسية شاملة وليس نتيجة حكم قضائي لصالح رجل واحد، نحن بذلك نحيل إلى مجال القضاء ما لا يدخل في اختصاصه وأن نتركه لكي يفسر نصوص على فرض أن هناك نصوصاً تأثرت بمناخ عام وليس اعمالاً لأحكام قوانين، ومع اعتزازي المطلق بالقضاء المصري في بلد مثل مصر وهي مجتمع نهري يعتمد على عدالة توزيع المياه مما يرسخ قيمة العدل في حياته إلا أنني كنت أؤثر أن يظل القضاء فوق مظلة التدخل فلا تدفع إليه السياسة بما تريد هي أن تبت فيه لأنها لم تقرر بعد اختياراتها السياسية، تتصور بذلك أنها تريح بالها وتكسب وقت ولكنها في الواقع - بصرف النظر عن النوايا الطيبة - تضيف هواجس لاحقة إلى عقد سابقة - إن احداً على وجه اليقين لا يستطيع أن ينكر أن هناك ملامح ايجابية عديدة ظهرت على الساحة

المصرية منذ اعقاب خريف الغضب سنة ١٩٨١ ثم أن أحداً على وجه التأكيد لا يحق له تبسيط الأمور حيث تصبح ضرورات الاختيار الواضح المحدد اجتماعياً وسياسياً مسألة سنة أو إثنتين فذلك تعسف خصوصاً إذا تذكرنا حجم التركة الموروثة وهذه أيضاً مشكلة في حد ذاتها وربما كان من المشاكل التي وقعت فيها السلطة التي تولت مقاليد الأمور بعد خريف الغضب سنة ١٩٨١ أنها بدعوى الحرص والوفاء لم تقم بجرد التركة ولم تعلن نتيجة ذلك على الناس حتى يكون هناك أساس لحسابهم يوضح ما تسلمته وبالتالي يساعد على تقويم ما كان في استطاعتها تقديمه وهكذا فإنها تتحمل ما لم يكن لها فيه مسؤولية أو ذنب فالحساب دائماً يجيء على الظاهر والمعرفة ولا يجيء أبداً على المكتوم.

وهكذا فإن هناك التباسات محرجة أضيفت وربما كان من حقنا أن نأمل في مزيد من الوضوح بعد الانتخابات القادمة وظهور نتائجها ولعلي أضيف أنني لا أخدع نفسي في نتائج هذه الانتخابات.

أظن أن الحزب الوطني بصرف النظر عن تحفظاتي عليه كحزب سوف يحصل على الأغلبية في الانتخابات القادمة ولا أظن أن ذلك يحتاج إلى تدخل اداري أو بوليسي وإنما هي قوى كامنة في حقائق الاشياء وإلا كنا نخدع أنفسنا والواقع أن الذي سيحصل على الأغلبية هو النظام وليس الحزب ثم يجيء بعد ذلك الاختيار الحقيقي. الاختيار الحقيقي بعد صناديق الاقتراع وليس قبلها.

هناك نتظرنا لحظة الحقيقة التاريخية وهناك يمكن أن تصبح الديمقراطية شيئاً أكبر واعمق من مجرد لحظة حساسة هذا إذا استطعنا أن نمسك بالفرصة وأن نواجه العقد القديمة والهواجس الجديدة والتباسات المحرجة.

إذا أردت مني تحديداً أكثر فإنني أتمنى لو استطاع الرئيس حسني مبارك أن يبدأ مرحلة ما بعد الانتخابات بتقرير شامل إلى الأمة يضع فيه الحقائق كاملة وواضحة. مصر ما قبل الثورة وكل ما يجري فيه بالتفصيل وبالارقام وفي جميع المجالات عصر عبد الناصر وكل ما جرى فيه بالتفصيل وبالارقام وفي جميع المجالات عصر أنور السادات وكل ما جرى فيه بالتفصيل والارقام وفي جميع المجالات ثم تكون هناك صورة كاملة للوضع الذي تلمسه والذي يتحمل على أساسه مسؤولياته ثم

يطرح على الأمة خطوط سياساته ونقط ارتكازه وحدود التزامه . حقائق واضحة محددة كاملة وشاملة .

وتجيب على اسئلة معلقة كثيرة مثلاً:

حدود الأمن المصري والاستراتيجية العليا للدولة وإلى أي مدى وبأية وسائل .

مسألة الوحدة الوطنية وتتصل بذلك مسألة الدين والعلمانية وإلى أي مدى وبأية وسائل .

قضية التحويل الاجتماعي وإلى أي مدى وبأية وسائل ثم ما هو المطلوب من الشعب المصري في نطاق قدراته الذاتية وتحالفاته وما هي سبل تحقيقه . وما هي ضمانات المتابعة والمراجعة والتصحيح . ثم يكون بعد ذلك قرار لا يعبر عن رأي فرد أو مقتضيات لحظة وإنما يعبر عن ضرورات شعب ومستقبل ، إن ذلك كان يجب أن يحدث قبل الانتخابات وليس بعدها لكن لم يحدث لسوء الحظ . إن الفرصة يمكن ان تستعاد لكن استعادتها ليست متاحة إلى الأبد .

إن ضياع الفرصة إلى الأبد تكريس للاحباط واليأس وتعميق للعقد والهواجس والالتباسات .

إنني استدرجت بعيداً عن سؤالك الأصلي ، اعتذرك وأعود إليه بسرعة أقول أن الحزب الذي أتمنى أن أعطيه صوتي هو الحزب الذي يحاول أن يسترد للأمة صحتها النفسية عن طريق استجلاء الحقيقة وينابيع الحقيقة لا يمكن ان تكون حملات مكثفة ولا يمكن ان تكون تعميقاً جزافياً يقبل كل التفسيرات ولا يمكن ان تكون قضية ثار من رجل أو من عصر . المطلوب هو حقيقة ما جرى في كل القضايا: ادوار الرجال - حقائق الصراعات - تقييم المعارك - حجم المنجزات والخسائر - ماذا جرى؟ ماذا كان؟ أين؟ وكيف؟ ومتى؟ ومن المسؤول سلبياً أو إيجابياً؟ وبعد هذا كله يجيء السؤال الأكبر: ما العمل؟ العالم كله غربه وشرقه يفعل ذلك بغير تعذيب للنفس أو هرب من مكنونات الصدور .

في الغرب تتكفل عمليات الانتخابات بفتح كل السجلات كما أن وثائق التاريخ نفسها تفتح امام كل الناس - بعد زمن معين حتى يطلعوا منها على الحقيقة

دون رياء أو تزييف دون كذب أو تحريف وفي الشرق لم يستطع الاتحاد السوفياتي أن يبرأ من شبح عصر «ستالين» إلا بتقرير خروشوف أمام المؤتمر العشرين للحزب، وفي الصين لم يستطع عصر «دينج هياوينج» أن يبدأ عمله إلا بتقييم شامل من الحزب لدور «ماوتسي تونج» وفي الثورة الثقافية جرت عملية فرز الخطأ والصواب ثم قام الحزب باسقاط ما ثبت خطأه وتبنى ما ثبت صوابه لكي يبني عليه كفالات الاستمرار. لا ينفع اسدال الحجب الكثيفة على مرحلة من المراحل وإلا تحولت الاطيان إلى أشباح والاشباح إلى عفاريت ودقات طبول الزام لا تشفي أحد من عقده ولكن الذي يمكن أن شفیه هو مواجهة الحقيقة فيما كان لأنها أول الطريق إلى ما يمكن أن يكون او ما يجب أن يكون.

أريد أن أقول أن قفل الجرح على عفن سوف يؤدي إلى حمى تضرب أطراف الجسد ثم تسري السموم إلى القلب ويصبح الحل الوحيد هو الجراحة وهو ما يمكن تفاديه وما لا بد من تفاديه لأن كل الظروف والضرورات لا تسمح به.

وهكذا فإن قبل مشكلة المواصلات وقبل مشكلة الإسكان في مصر. تجيء مشكلة الضمير المصري:

مشكلة الوجدان في مصر. مشكلة الصحة النفسية لشعب مصر. مشكلة ثقة الشعب المصري في نفسه - حوار مفتوح بحقائقه : بوثاقه وإلضاع منا الغد في السراب كما ضاع الأمس في الضباب.